



الحمد والشكر في نهج البلاغة

الخطبة الأولى ختاراً

دراسة عقديّة في ضوء مباحث التوحيد



ISBN 978-9922-8695-1-3



9 789922 869513 >

٤١٤

١ ح ٥٩٩ الحسنى الكربلاى نبل

الحمد والثناء فى نهج البلاغة خطبة التوحد اأأياراً / نبل الحسنى الكربلاى. -١. ط. - كربلا  
مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٥

١٣٤ ص. ٢١ سم

١- البلاغة لغتة -٢- العقائد الإسلامىة

٣- الخطبة الدينىة -٤- على بن ابى طالب (ع) الإمام الأول

أ- العنوان

رقم الإبداع ٤٣٣٦، ٢٠٢٥

المكتبة الوطنىة / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإبداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد ٤٣٣٦ لسنة ٢٠٢٥

BP193.1 .H38 2025

الحسنى، نبل، ١٣٨٤ للهجرة - مؤلف.

الحمد والثناء فى نهج البلاغة / تألىف نبل الحسنى الكربلاى. - الطبعة  
الأولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينىة المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة،  
٢٠٢٥ / ١٤٤٧ للهجرة.

١٣٤ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينىة المقدسة ؛ ١٦٨٧)، (مؤسسة علوم نهج  
البلاغة ؛ ٢٤٤)، (سلسلة الدراسات العقدىة ؛ ١)

ىتضمن ارجاعات ببلىوجرافىة.

١ . الشرفى الرضى، محمد بن الحسن، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة ٢.  
على بن أبى طالب (علیه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة -٤- للهجرة - حدىث  
٣. المدىح ٤. الحمد ٥. التوحد أ. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر فى شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرىة  
والثقافىة فى العتبة الحسينىة المقدسة.

# الحمد والشّاء في مخرج البلاغة

## الخطبة الأولى اختياراً

دراسة عقديّة في ضوء مباحث التوحيد

تأليف

الشيخ زين العابدين الحسيني الكاظمي

إصدار

مؤسسة علوم مخرج البلاغة

جميع الحقوق محفوظة  
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م



---

العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة مجاور مقام علي الأكبر

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: [www.inahj.org](http://www.inahj.org)

الإيميل: [Inahj.org@gmail.com](mailto:Inahj.org@gmail.com)

---

## الإهداء:

إلى: باب الله الذي من سلك غيره هلك... ونور الله الذي لا يطفى... وحجة الله التي لا تخفى.. إلى من يعز الله به الدين بعد الخمول... ويطلع به الحق بعد الأفول.

ويجلي به الظلمة... ويكشف به الغمة... ويؤمّن به البلاد... ويهدي به العباد.

إلى: مبير الظالمين، وداك عروش المجرمين، والآخذ بحق بضعة سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله الطاهرين.

إلى: ولي الله المكرّم، وابن سيد الأنبياء ذي الشرف المُقدّم، وابن خاتم الأوصياء المُعظّم، الإمام المنتظر والغائب المشتهر (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الأئمة المتتجيين، وحجج الله على الخلق أجمعين)... أهدي كتابي هذا.

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾

[سورة يوسف، الآية: ٨٨].



## المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهِ النَّوَظِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ»<sup>(١)</sup>، وصلواته التامات الزاكيات على حبيبه محمد، «عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الصَّفِيِّ، وَأَمِينَهُ الرَّضِيِّ»<sup>(٢)</sup> وعلى أهل بيته «هُمُ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ»<sup>(٣)</sup>، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

قد يكون من البداهة بمكان أن يأخذ موضوع الحمد والثناء على الله تعالى حيِّزًا واسعًا في المكتبة الإسلامية ولاسيما خطبة التوحيد التي نالت اهتمامًا كبيرًا من الشراح والباحثين؛ وذلك بوصفها فاتحة كتاب نهج البلاغة.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥، بتحقيق صبحي الصالح: ص ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١، ج ١ / ص ٢٩٢ بتحقيق أ. د صلاح الفرطوسي.

ومن ثمَّ فقد اختيرت لموضوع الدراسة؛ لما تنهاز به من المعارف الإلهية في مسألة الحمد وغايته وعلّة عدم إدراك رُتبته، ثمَّ بيان النصِّ الشريف لجملةٍ من الإجابات على ما يُطرح من تساؤلات عن الذات الإلهية وآثارها على الفكر والعقيدة، وتصحيح ما أفرزته التأويلاتُ الباطلة التي طرحها بعضُ المتكلِّمين والفلاسفة وغيرهم.

فضلاً عن ذلك فقد تضمّن البحثُ مجموعةً من المطالب المعرفية التي تناولها الشراح؛ وذلك لبيان غزارة النصِّ الشريف بالعلوم والرؤى التي لم تنزل منهاً رويًا، ومن ثمَّ فقد اخترنا منها بعض المسائل التي كانت بحاجة إلى البحث والتحقيق ولاسيما الأحاديث المنسوبة إلى الحضرة النبوية (صلّى الله عليه وآله).

وقد اختير البحث ليكون منهجًا دراسيًا لقسم نهج البلاغة والتربية الإسلامية في حقل العقيدة الإسلامية لطلاب المرحلة الثانية، ثمَّ ليتبعه بحثٌ آخر في التوحيد والصفات الإلهية في خطبة التوحيد لطلاب المرحلة الثالثة، وبذلك نكون قد هيئنا

مادّة عقديّة خصبة لطلاب قسم نهج البلاغة بوصفهم أساتذة في مادّة التربية الإسلاميّة ومتخصّصين في هذا الكتاب الشريف الذي كان ولم يزل صنو كتاب الله تعالى والسنة النبويّة الشريفة. وقد اشتمل البحث على تمهيدٍ وجملةٍ من المباحث المرتكزة على تقسيم النصّ الشريف إلى مطالب ومساءل عدّة؛ وذلك لتوسيع دائرة البحث وفتح أبواب المعرفة أمام الدارس لكلام أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام).

فإن أصبتُ فذلك مبلغ علمي ومقدار رزقي من التوفيق ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، والله وليّ التوفيق، ومنه ومن رسوله (صلّى الله عليه وآله) نسأل المزيد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) يوسف: ٧٦.

(٢) التوبة: ٥٩.

اللَّهُمَّ إِنَّا إِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ رَاغِبُونَ وَلِفَضْلِكَهَا مَلْتَمِسُونَ؛  
﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ  
مِنَّا أَنْتَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى فَضْلِهِ وَفَضْلِ  
رَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

المشرف بالخدمتين

العتبة الحسينية المقدسة وكتاب نهج البلاغة

السيد نبيل الحسيني الكربلائي

---

(١) هود: ٨٨.

(٢) البقرة: ١٢٧.

## استهلال:

قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام):

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهِمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مُحَدُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ»<sup>(١)</sup>، وَلَا أَجَلٌ مُمْدُودٌ، فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَدَدَ بِالصُّحُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) (وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ) هكذا ورد في: منهاج البراعة، الراونديّ: ج ١ / ص ٢٣، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ص ٥٧، وشرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ: ج ١ / ص ١٠٦، ومنهاج البراعة، الخوئيّ: ج ١ / ص ٣٠١، وبهج الصباغة، التستريّ: ج ١ / ص ١٤٤، ونهج البلاغة (تحقيق: العطار): ص ٦٧ - ٦٨، ونهج البلاغة (تحقيق: صبحي الصالح): ص ٣٩، ونهج البلاغة (تحقيق: فارس الحسون): ص ٢٦، ونفحات الولاية، الشيرازيّ: ج ١ / ص ٤٣.

(٢) نهج البلاغة (تحقيق: الفرطوسي): ج ١ / ص ١٧٣.



## المبحث الأول

الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام):

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ»

اشتمل النصُّ الشريف على جملة من المعارف، وهي على

النحو الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللغوي.

١. البحرانيّ.

قال (رحمه الله): «المدح والمديح: الثناء الحسن، والمدحة:

فعلة من المدح، وهي الهيئة والحالة التي ينبغي أن يكون المدح  
عليها<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

٢. الخوئيّ.

قال (رحمه الله): «الحمد، والمدح، والشكر: متقاربة المعاني

ومشتركة في الدلالة على الثناء الجميل، وربّما يحكم باتحاد  
الأوّلين وكونهما أخوين، قال في الكشف: الحمد والمدح أخوان،  
وهو الثناء والتّداء على الجميل من نعمة وغيرها، تقول: حمدت

(١) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٣/ ص ٢٦٨، مادة (حصى).

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١/ ص ١٠٧.

الرَّجُلِ عَلَىٰ إِعْنَامِهِ وَحَمْدَتِ عَلَىٰ حَسَنِهِ وَشَجَاعَتِهِ<sup>(١)</sup>؛ انتهى.

(والبلوغ): هو الوصول أو المشاركة، يقال: بلغ المكان بلوغاً من باب نصر إذا وصل إليه أو شارف عليه<sup>(٢)</sup>، والثاني أكمل وأبلغ بالنسبة إلى المقام.

(والمدحة): قال الشارح المعتزلي: هي، (هيئة المدح، كالركبة هيئة الركوب، والجلسة هيئة الجلوس)<sup>(٣)</sup>، وفي القاموس (مدحه كمنعه مدحاً ومدحة، أحسن الثناء عليه)<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

المسألة الثانية: شرح النصّ وبيان معارفه.

أولاً: ما أفاده الشراح.

١. البحرانيّ.

قال (رحمه الله): «أراد تنزيهه تعالى عن إطلاع العقول البشريّة على كفيّة مدحه سبحانه كما هي، وبيان هذا الحكم أنّ الثناء

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ج ١ / ص ٨.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ص ٧٨٠، مادة (بلغ)، تاج العروس: ج ٢٢ / ص ٤٤٤، مادة (بلغ).

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ١ / ص ٥٩.

(٤) القاموس المحيط: ص ٢٤٠، مادة (مدح).

(٥) منهاج البراعة: ج ١ / ص ٢٩٣-٢٩٦.

المبحث الأول: الحقول المعرفية في قوله (ﷺ) ((لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْقَائِلُونَ))

الحسن على الشيء إنَّما يكون كما هو إذا كان ثناء عليه بما هو كذلك في نفس الأمر، وذلك غير ممكن في حقِّ الواجب الوجود سبحانه إلاَّ بتعقُّل حقيقته، وما لها من صفات الجلال ونعوت الكمال كما هي، وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام، فالقول وإن صدر عن المداحين بصورة المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو دأبهم من وصفه تعالى بما هو أشرف من طرفي النقيض، فليس بكمال مدحه في نفس الأمر لعدم اطلاعهم على ما به يكون المدح الحقُّ في حقه تعالى، وإن تصوّر بصورة المدح الحقِّ وأشار إلى تأديب الخلق وتنبههم على بطلان ما تحكَّم به أو هامهم في حقه تعالى من الصفات، وأنَّه ليس الأمر كما حكمت به إذ قال في موضع آخر، وقد سأله بعضهم عن التوحيد فقال:

(التوحيد أن لا تتوهمه)<sup>(١)</sup>، فجعل التوحيد عبارة عن سلب الحكم الوهمي في حقه تعالى فاستلزم ذلك أن من أجرى عليه حكما وهميا فليس بموحِّد له على الحقيقة، وإلى هذا النحو أشار الباقر محمد بن عليّ (عليه السلام) مخاطبًا:

(١) خصائص الأئمة، الشريف الرضي: ص ١٢٤.

(وهل سمى عالماً قادراً إلا لأنه وهب العلم للعلماء، والقدرة للقادرين فكل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم»، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت، ولعلّ النمل الصغار تتوهم أن الله تعالى زبانيين كما لها فإيتها تتصوّر أنّ عدمها نقصان لمن لا يكونان له، فهكذا شأن الخلق فيما يصفون به بأرائهم<sup>(١)</sup> .

قال (رحمه الله): «أراد تنزيهه تعالى عن إطلاع العقول البشريّة على كيفية مدحه سبحانه كما هي، وبيان هذا الحكم أنّ الثناء الحسن على الشيء إنّما يكون كما هو إذا كان ثناء عليه بما هو كذلك في نفس الأمر، وذلك غير ممكن في حقّ الواجب الوجود سبحانه إلاّ بتعقل حقيقته، وما لها من صفات الجلال ونعوت الكمال كما هي، وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام، فالقول وإن صدر عن المادحين بصورة المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو دأبهم من وصفه تعالى بما هو أشرف من طرفي النقيض، فليس بكمال مدحه في نفس الأمر لعدم اطلاعهم على ما به يكون المدح الحقّ في حقّه تعالى، وإن تصوّر بصورة المدح الحقّ وأشار

المبحث الأول: الحقول المعرفية في قوله (ﷺ) ((لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْقَائِلُونَ))

إلى تأديب الخلق وتنبههم على بطلان ما تحكّم به أوهامهم في حقّه تعالى من الصفات، وأنّه ليس الأمر كما حكمت به إذ قال في موضع آخر، وقد سأله بعضهم عن التوحيد فقال:

(التوحيد أن لا تتوهمه)<sup>(١)</sup>، فجعل التوحيد عبارة عن سلب الحكم الوهمي في حقّه تعالى فاستلزم ذلك أن من أجرى عليه حكماً وهمياً فليس بموحّد له على الحقيقة، وإلى هذا النحو أشار الباقر محمّد بن عليّ (عليه السّلام) مخاطباً:

(وهل سمّي عالماً قادراً إلاّ لأنّه وهب العلم للعلماء، والقدرة للقادرين فكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم)، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت، ولعلّ النمل الصغار تتوهم أن الله تعالى زبانيين كما لها فإنّها تتصوّر أنّ عدمها نقصان لمن لا يكونان له، فهكذا شأن الخلق فيما يصفون به بأرائهم<sup>(٢)</sup>.

(١) خصائص الأئمة، الشريف الرضي: ص ١٢٤.

(٢) ينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ج ٦٦/ ص ٢٩٣.

٢. الخوئي.

قال (رحمه الله): «قوله: (الحَمْدُ لله) أي: الثناء الحسن حقّ وخصوص للذات المستجمع للصفات الجماليّة والجلاليّة. وعن تفسير الإمام (عليه السّلام) عن أمير المؤمنين (عليه السّلام):

الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق وعند انقطاع الرجاء من كل من دونه وتقطع الأسباب من جميع (من سواه)<sup>(١)</sup>.

وعنه (عليه السّلام) أيضاً: (الله أعظم اسم من أسماء الله (عزّ وجلّ)، لا ينبغي أن يتسم به غيره)<sup>(٢)</sup>. وفي التّوحيد عنه (عليه السّلام) أيضاً:

الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويوله إليه، والمستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات)<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السّلام): ص ٢١.

(٢) ينظر التوحيد، الشيخ الصدوق: ص ٢٣١.

(٣) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص ٨٩.

المبحث الأول: الحقول المعرفية في قوله (لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْقَائِلُونَ) (١)

وفيه عن الباقر (عليه السلام):

الله معناه، المعبود الذي أله الخلق عن درك مائتته، والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب: أله الرجل إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً، ووله إذا فزع إلى شيء مما يحذره ويخافه، فالإله هو المستور عن حواس الخلق (١).

(الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْقَائِلُونَ) أي لا يشارف على مدحه أحد من آحاد القائلين، فكيف يصلون إليه، وهو إشارة إلى العجز عن القيام بحمده سبحانه كما هو أهله ومستحقه، ومن ثم قال (صلى الله عليه وآله):

(لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) (٢).

فإن قلت: روى في الكافي، الكليني عن الصادق (عليه السلام):  
(مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ صَغُرَتْ أَوْ كَبُرَتْ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا أَدَّى شُكْرَهَا) (٣)، فكيف التوفيق بينه وبين النبوي والخطبة.

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص ٨٩.

(٢) الموطأ: ج ٢/ ص ٢٩٩، مسند أحمد بن حنبل: ج ٢/ ص ١٤٧.

(٣) الكافي، الكليني: ج ٢/ ص ٩٦.

قلت: يمكن الجمع بينهما بأن المراد بها إظهار العجز عن الحمد والثناء اللائق بحضرة سبحانه كما أشرنا إليه، والمراد بأداء الشكر فيه، أدائه اللائق بحال العبد الموجب لسقوط تكليف الشكر عنه والمحصل لرضائه سبحانه وتعالى عنه بهذا المقدار بكرمه العميم ولطفه الجسيم.

وقيل: وإنما اختار (عليه السلام) القائلين على المادحين، لكونه أبلغ، من حيث إنَّ القائل أعمّ من المادح، وعدم بلوغ الأعم بمدحته مستلزم لعدم بلوغ الأخص.

أقول: والأولى أن يقال: إنَّ السرّ في العدول عنه إليه هو أنّ الغرض من الجملة الوصفية الإشارة إلى عدم إمكان القيام على مدحته حسبما عرفت سابقاً، فإذا لم يمكن القيام عليه لم يوجد هناك من قام به المدح، فلا يوجد له مادح في الحقيقة، والتعبير بالمادحين ينافي هذا الغرض، كما أنّ التعبير بالقائلين يؤكده، لأنّ فيه إشعاراً بأنّ من صدر عنه مدح فهو قول يليق بقائله وليس بمدح حقيقي يليق به تعالى كما لا يخفى، ويأتي إن شاء الله تمام التحقيق في عدم إمكان مدحه ووصفه سبحانه في شرح الخطبة

المبحث الأول: الحقل المعرفية في قوله ﷺ ((لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْقَائِلُونَ))

المائة والسابعة والسبعين»<sup>(١)</sup>.

### ثانيا: معارف النص.

يمكن أن نستظهر جملة من المعارف - فضلاً عما أفاده الشراح - في قوله (عليه السلام): «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ» بأمر، منها:

الأمر الأول: علة ابتدائه (عليه السلام) الخطاب بـ (الحمد لله).

إنَّ الملاحظ في خطبه ورسائله (عليه السلام) هو تتويجها - غالباً - بالحمد، فبدأ ذلك سمة من سماته التي تكشف عن منهاجه في الخطاب عبر الملازمة مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فالنبي (صلى الله عليه وآله) أول ما نزل عليه من السور - على قول - سورة الحمد<sup>(٢)</sup>، وأول ما يفتح القارئ كتاب الله يجده قد أبتدأ بالحمد، ومن ثم يتضح لنا سبب تتويجه الخطاب بالحمد، وذلك أنه (عليه السلام) فيه جنبتان، الأولى قرآنية، والثانية نبوية، ولذا: لا يخرج عن هذه الملازمة، فقد أبتدأ قوله وخطابه بلفظ (الحمد لله).

(١) منهاج البراعة، حبيب الله الخوثي: ج ١ / ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) عمدة القارئ، العيني: ج ١٨ / ص ٧٩.

وذكر ابن حمدون (المتوفى سنة ٥٦٢هـ) في بيان صفة خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: (قال بعضهم: تتبعت خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلم)، فوجدت أوائل أكثرها: الحمد لله<sup>(١)</sup>، وهذا يكشف عن الجنبه الثانية من شخص أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، فهو صورة حية عن النبي (صلى الله عليه وآله).

الأمر الثاني: دلالة ابتدائه (عليه السلام) بالحمد تختلف عن غايته.

إنّ دلالة ابتدائه (عليه السلام) بالحمد تكشف عن علمه بمفاصل التوحيد وقوامه وروحه وسنانه، وكيف لا!! وهو رضيع محالب النبوة وفطيمها، وريب حجر الرسالة وأديها، فقد أبان الغاية في ابتدائه القول بالحمد لله، فقال:

«ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ وَلَهُ الْحَمْدُ افْتَتَحَ الْحَمْدُ لِنَفْسِهِ وَخَتَمَ أَمْرَ الدُّنْيَا  
وَحَلَّ الْآخِرَةَ بِالْحَمْدِ لِنَفْسِهِ فَقَالَ ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

(١) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون: ج ٦ / ص ٢٣٦.

(٢) الزمر: ٧٥.

(٣) الكافي، الكليني: ج ١ / ص ١٤١.

المبحث الأول: الحقول المعرفية في قوله ﷺ ((لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْقَائِلُونَ))

وروى الشيخ الصدوق (رحمه الله)، عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) في بيان العلة من ابتداء القرآن الكريم بالحمد، فقال:

«وإنما بدء بالحمد دون سائر السور؛ لأنه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد، وذلك أن قوله عزّ وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إنما هو أداء لما أوجب الله عزّ وجل على خلقه من الشكر، وشكر لما وفق عبده من الخير»<sup>(١)</sup>.

الأمر الثالث: غايته (عليه السلام) في الحمد بيان امتناع القائلين في الوصول إلى حقيقته.

إنّ الغاية في حمده (عليه السلام) لله في هذا اللفظ الشريف تركز على امتناع بلوغ القائلين بالممدح وليس الحمد، بمعنى أن كل ممدح لله هو في الحقيقة ليس بحامد لله فقد يمتدح الكافر والمشرك الله تعالى، وذلك لما يرياه من خلق الله كما هو حال كثير من المفكرين والفلاسفة وعلماء الفلك والطب والفيزياء، وغيرها من العلوم، فيمدحون الله لكنهم لا يحمدون، ومن ثم

(١) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ج ١ / ص ٣١٠.

فمهما يمتدح القائل فهو ليس ببالغ مدح الله عزَّ وجلَّ.  
ولعل مرد ذلك الامتناع إلى أمرين:

- ١- افتقاد المادح إلى الإيمان بالله، ومن ثم لا يبلغ رتبة المدح.
- ٢- العجز عن إدراك العقل لمقتضيات المدح وبلوغ رتبته.

الأمر الرابع: إقران أهل اللغة لمعنى الحمد والمدح يؤدي إلى الإجحاف في دلالة النص الشريف.

أمَّا إقران بعض الشراح وأهل اللغة لمعنى الحمد والمدح والشكر في مفهوم ودلالة واحدة، فهو إجحاف للنص الشريف، وقصور - غير مقصود - عن بلوغ مضامينه؛ وإلا لقال (عليه السلام): الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته المادحون، وذلك لأمرين:  
الأول: ارتكاز الحمد على الإيمان بالله تعالى وخلوه من المدح.

الثاني: إشراك الحامد والمادح في مفردة (القائلون)، وافتراقهم في المفهوم والدلالة، ولذا جمعهم (عليه السلام) بلفظ: (القائلون)، فليس كل مادح بحامد، فكثير من المدح تملق، وهو محقوت في العرف والمجتمع، ومنزه عنه الحمد لله تعالى.

## المبحث الثاني

الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام):

«وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ»

اشتمل النصُّ الشريف على جملة من المعارف، وهي على النحو

الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللغوي.

- البحراني:

قال (رحمه الله): «والإحصاء: إنهاء العدِّ والإحاطة بالعدد<sup>(١)</sup>، يقال: أحصيت الشيء، أي أنهيت عدّه<sup>(٢)</sup>، وهو من لواحق العدد، ولذلك نُسبه إلى العاديين، والنعماء: النعمة، وهو أسم يقام مقام المصدر»<sup>(٣)</sup>.

المسألة الثانية: شرح النصِّ وبيان معارفه.

أولاً: ما أفاده الشرح.

---

(١) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٣ / ص ٢٦٨، مادة (حصي).

(٢) ينظر: الصحاح، الجوهري: ج ٦ / ص ٢٣١٥، مادة (حصا).

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ١ / ص ١٠٧.

١. الخوئي:

قال (رحمه الله) «وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ»: إذ النعم غير محصورة، والفيوضات غير متناهية، فلا يحيط بها عدّ، ولا يضبطها حدّ.

قال سبحانه: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾<sup>(١)</sup>، قال البيضاوي: (لا تحصروها، ولا تطيقوا عدّ أنواعها فضلاً من أفرادها، فإنّها غير متناهية، ثمّ قال: وفيه دليل على أنّ المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة)<sup>(٢)</sup> «<sup>(٣)</sup>».

٢. التستري:

قال: (رحمه الله): «إنّما يمكن الإحصاء فيما له حصر، ولا حصر لنعمائه تعالى، وفي الخبر: أنّ أبي بن كعب قرأ عند النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قوله تعالى: ﴿... وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ: ج ٣/ ص ٢٠٠.

(٣) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي: ج ١/ ص ٢٩٩.

المبحث الثاني: الحقل المعرفية في قوله ﷺ ((وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَ الْعَادُونَ))

ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ... ﴿١﴾، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقوم عنده وفيهم أبو بكر وعبيدة وعمر وعثمان وعبد الرحمن:

قولوا الآن ما أول نعمة غرسكم الله بها وأبلاكم بها؟

فخاضوا من المعاش والرياش والذرية والأزواج، فلما أمسكوا، قال لأمير المؤمنين (عليه السلام):

(يا أبا الحسن قل)؛ فقال (عليه السلام):

إن الله خلقني ولم أكن شيئاً مذكوراً، وأن أحسن بي فجعلني حياً لا مواتاً، وأن أنشأني، فله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب، وأن جعلني متفكراً واعياً لا أبله ساهياً، وأن جعل لي شواعر أدرك بها ما ابتغيت، وجعل في سراجاً منيراً، وأن هداني لدينه ولن يضلني عن سبيله، وأن جعل لي مرداً في حياة لا انقطاع لها، وأن جعلني ملكاً مالكا لا مملوكاً، وأن سخّر لي سماءه وأرضه وما فيها وما بينهما من خلقه، وأن جعلنا ذكراً قواماً على حلاتنا لا إناثاً).

(١) لقمان: ٢٠.

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في كل كلمة:  
(صدقت)، ثم قال:

(فما بعد هذا)؟ فقال علي (عليه السلام):

﴿وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾<sup>(١)</sup> فتبسم النبي (صلى  
الله عليه وآله)، وقال: (ليهنك الحكمة، ليهنك العلم، يا أبا  
الحسن أنت وارث علمي، والمبين لأمتي ما اختلفت فيه من  
بعدي)<sup>(٢)</sup> «<sup>(٣)</sup> .

ثانياً: معارف النص.

إن قراءة ما أفاد به الشراح في بيان معارف قوله (عليه السلام):

«وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ»، نجدها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: بيان وجه التشابه بين قوله (عليه السلام) والقرآن  
الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾<sup>(٤)</sup> وقد

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) المناقب، ابن شهر آشوب: ج ٢ / ص ١٧٧-١٧٨.

(٣) بهج الصباغة، محمد تقي التستري: ج ١ / ص ١٤٧-١٤٨.

(٤) إبراهيم: ٣٤.

المبحث الثاني: الحقل المعرفية في قوله ﷺ ((وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَ الْعَادُونَ))

حاول الراونديّ (رحمه الله) الوصول الى كنه المغايرة بين صيغة المفرد في الآية المباركة ﴿نِعْمَةٌ﴾ وبين صيغة الجمع في قوله (عليه السلام) في «نِعْمَائِهِ».

الثاني: الاعتراض على ما شرحه الراونديّ (رحمه الله) والذي أنماز به معظم كلام ابن أبي الحديد المعتزلي فأنصرف فكره عن معارف قوله (عليه السلام)، منشغلاً بما أفاد به الراونديّ.

الثالث: بيان العلة في العجز عن الإحصاء للنعم، معتمدين في وقوع العجز على كثرة النعم فضلاً عن التباين في الأقوال من القصد في النعم بين العموم والخصوص كما ذهب إليه ابن ميثم (رحمه الله) في تخصيص النعمة بالملائكة، والشيخ مكارم الشيرازيّ بخلايا جسم الإنسان بلحاظ أن كل خلية هي كائن مستقل، إلا أن الغريب أنه ذكر عددها، ومن ثم فقد أمكن إحصائها وبذلك أصبح المعنى المقصود في النص الشريف بعيداً عما ذهب إليه.

والذي بدالي في مقاصدية قوله (عليه السلام) وعبر الرجوع الى مفردة (نعمة الله) في القرآن الكريم وعلاقتها بالإحصاء والعجز عنه، فضلاً عن المغايرة بين صيغة المفرد في الآيات

وصيغة الجمع في قوله (عليه السلام): (نعماء)، هو:

أ- إنَّ العرض القرآني يفيد بدلالات متعددة للنعمة، وهي:

١- المعجزة، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَلِّبْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَّ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- الحكم الشرعي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُومًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- التأليف بين القلوب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) البقرة: ٢١١.

(٢) البقرة: ٢٣١.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

٤- الهداية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

٥- دفع الضر، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٦- النبوة والملك، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٧- النجاة من البلاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبُّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) المائة: ٧.

(٢) المائة: ١١.

(٣) المائة: ٢٠.

(٤) إبراهيم: ٦.

٨- الإيمان بالله، وذلك في قوله تعالى: ﴿الْمُتَرِّ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

٩- تسخير أسباب الحياة والمعيشة والبقاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ \* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \* وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٠- رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والولاية لعلي أمير المؤمنين والأئمة من بعده (عليهم السلام)، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

١١- الطعام والشراب الحلال، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) إبراهيم: ٢٨.

(٢) إبراهيم: ٣٢-٣٤.

(٣) النحل: ٨٣.

(٤) النحل: ١١٤.

المبحث الثاني: الحقول المعرفية في قوله ﷺ ((وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَ الْعَادُونَ))

١٢ - الرزق، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ب - إن السياق القرآني للنعم وتعدد دلالات (نعمة الله) وتنوعها يتسق مع قول أمير المؤمنين عليه السلام، في تحقيق العجز عن عدّها، ولذا جاء بصيغة الجمع، فقال:

«وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ»، أي أن جميع هذه الآيات المباركة تكشف عن تعدد معنى النعمة وتنوعها ومن ثم لا يمكن عدّها.

ج - أما وجه المغايرة في قصدية الآية المباركة في بيان مقام العجز عن عدّ نعمة الله التي جاءت بصيغة المفرد مع أن مقتضى الحال يلزم صيغة الجمع، أي: قوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فلا يراد به تنوع النعم وكثرتها وإنما هي نعمة واحدة كانت الأصل في نشأة جميع النعم وتعددتها وتنوعها وعلّة وجودها

(١) فاطر: ٣.

(٢) إبراهيم: ٣٤.

ونزولها إلى الخلق، وهي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعترته (عليهم السلام)، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ذهب المفسرون من أهل الجماعة إلى أن أولى الأقوال في تأويل (نعمة الله) في الآية هو رسول الله (صلى الله عليه وآله)<sup>(٢)</sup>. وقال أئمة العترة (عليهم السلام): هي الولاية لعي (عليه وعلى ابن عمه وحليلته وولده أفضل الصلاة والسلام)، فقد روى ثقة الإسلام الشيخ الكليني (رحمه الله) عن أحمد بن

(١) النحل: ٨٣.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك الصواب وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ النعمة عليهم بإرسال محمد (صلى الله عليه وآله) إليهم داعيان إلى بعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده إذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعما بعده، فالذي قبل هذه الآية، قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ وما بعده: ﴿وَيَوْمَ تَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو رسوله، فإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الآية، يعرف هؤلاء المشركون، بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك، ثم ينكرونك، ويحددون نبوتك ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: أكثر قومك الجاحدون نبوتك، لا المقرون بها. ينظر: جامع البيان: ج ١٤ ص ٢٠٧.

المبحث الثاني: الحقل المعرفية في قوله ﷺ ((وَلَا يُحْصِي نِعْمَةَ الْعَادُونَ))

عيسى قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه (عليهم السلام) في قوله عزّ وجلّ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾؟ قال:

«لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ اجتمع نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجد المدينة، فقال:

بعضهم لبعض ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرهما وإن آمنا فإن هذا ذل حين يسلط علينا ابن أبي طالب، فقالوا: قد علمنا أن محمدا صادق فيما يقول ولكننا نتولاه ولا نطيع عليا فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ يعرفون يعني ولاية [علي بن أبي طالب] وأكثرهم الكافرون بالولاية».

وعليه:

فإن أصل النعم هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعترته (عليه السلام)، فهم العلة في خلق الخلق ومحل خروج الفيض ونزوله إلى الخلق ولولا هم لما خلق الله سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا قمرا منيرا ولا شمسا مضيئة؛ ومن ثم فلا يمكن

عدّ نعمة الله تعالى على خلقه بالنبى وآله (صلّى الله عليه وآله)،  
فله الحمد على ذلك.

## المبحث الثالث

الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام):

«وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ»

اشتمل النصُّ الشريف على جملة من المعارف، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللغوي.

١. الراوندي:

قال: وأمَّا قوله: «(وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ) ف(التأدية): إيصال الشيء إلى الغير بأداة<sup>(١)</sup> و(الحق): ما يكون أخذه حقيقاً<sup>(٢)</sup>، و(المجتهد) من يحتمل المشقة في فعل أو ترك<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

٢. البحراني:

قال: «وأدّيت حقَّ فلان إذا قابلت إحسانه بإحسان مثله»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ج ١ / ص ٧٤، مادة (أدي).

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج ٤ / ص ١٤٦٠، مادة (حقق).

(٣) ينظر: العين، الفراهيدي: ٣ / ص ٣٨٦، مادة (جهد).

(٤) منهاج البراعة، قطب الدين الراوندي: ج ١ / ص ٢٧.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: ج ١ / ص ٧٤. مادة (أدي).

٣. الخوئي:

قال (رحمه الله): «(والمجتهد): من أجتهد في الأمر، إذا بذل وسعه وطاقته في طلبه ليلبغ مجهوده ويصل إلى نهايته»<sup>(١)</sup>.

المسألة الثانية: شرح النص وبيان معارفه.

أولاً: ما أفاده الشراح.

١- البيهقي:

قال: «قوله: (ولا يؤدي حقه المجتهدون).

قال بعض المتكلمين: شكر المنعم لا ينتهي إلى حالة يقتصر عليها، حتى لا يتعدّها، بل هو ثابت ما لم يفسد الإحسان إساءة أعظم منه.

فحقّ الله تعالى لا ينتهي، حتى لو دام البقاء بالخلق إلى ما لا نهاية له، لكان حقه لازماً لهم، لهذا يمدحه أهل الآخرة ويشكرونه ويعظمونه إلى ما لا نهاية له من الأوقات، وإن كان التكليف ينقطع.

وقد جعل الله تعالى شهواتهم في مدائحهم، تعالى، وتعظيمه

(١) منهاج الراجعة: ج ١ ص ٢٩٦؛ وينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج ١/ ص ١١٢.

المبحث الثالث: الحقول المعرفية في قوله ﷺ (وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجَاهِدُونَ))

والثناء عليه، كما قالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي﴾، وقال: ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

[و] قوله: (ولا يؤدي حقه المجتهدون)، (الحق) نقيض الباطل والحق واحد الحقوق، والحق الواجب، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾<sup>(٣)</sup>، أي وجبت.

ويقال لله تعالى: الحق؛ لأنه واجب الوجود. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾<sup>(٤)</sup>، ويقال: حق، للقول المطابق للخبر، ويقال: حق للمخبر عنه، إذا طابق قولاً، ويقال: حق للذي لا سبيل للبطلان إليه.

فالله تعالى حق من جهة صدق الخبر عن وجوده، وحق من طريق أنه لا سبيل للبطلان والزوال إليه وإلى وجوده، وحق من جهة وجوب وجوده.

قال الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، والحق المال،

(١) يونس: ١٠.

(٢) الإسراء: ٥٢.

(٣) الزمر: ١٩.

(٤) الأنعام: ٦٢.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا﴾، أي: المال.

والحقّ التوحيد، قال الله، تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ﴾، أي التوحيد. والحقّ الصدق، قال الله تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، أي: الصدق، والحقّ العدل، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>، أي: بالعدل، والحقّ القرآن، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾، وقال: بل كذبوا بالحقّ.

فقال قوم: معنى قوله: (لا يؤدّي حقه المجتهدون)، أي: لا يعرف بالضرورة توحيد المجتهدون، وضعوا الحقّ بمعنى التّوحيد.

وقال قوم: (لا يؤدّي حقه)، الحقّ بمعنى القرآن، أي: لا يعارض قرآنه المجتهدون. كما قال ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

٢- الراونديّ:

قال (رحمه الله): «وأما قوله: (وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ)...

(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) الإسراء: ٨٨.

(٣) معارج نهج البلاغة: ص ٤٠.

المبحث الثالث: الحقول المعرفية في قوله ﷺ (وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجَاهِدُونَ))

أي إن حقوقه على العباد عظيمة لا يمكن المجتهدين في التحرز من المعصية القيام بقضاء حق من تلك الحقوق على الوجه الذي يجب.

وإنما ذكر حقه مفردا وله تعالى حقوق كثيرة، أمّا لأنَّ الحق مصدر يقع على القليل والكثير، أو لأنَّ حقًّا من حقوقه لا يمكن العباد أن يؤدوه.

٤١

فليُنظر البلغاء في هذه الكلمات الثلاث تتضمن فوائد جمّة، ذكر أنّه لا يستحق العبادة غيره تعالى وجعله محمودًا وممدوحًا، منعماً عاجلاً وآجلاً، وأن له حقوقاً واجبة على الخلائق، ثم حقق هذا الإثبات الذي هو الله تعالى بالنفي من جهة عباده بأنه لا يمكنهم تأدية حقوقه، ولا إحصاء نعمائه، ولا ذكر مدائحه، ولا بلوغ محامده، وإن بالغوا في ذلك واجتهدوا فيه.

وبالغ في تعظيم مدحه بتقديم ذكره تعالى مع كونه في موضع المفعول وأخر الفاعل، كقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>، وراعى الفواصل بحروف [متشاكلة في المقاطع توجب إفهام المعنى لم يتكلف السجع، وزاد معنى] القرينة الأولى

(١) فاطر: ٢٨.

بتقرير البيان مع تلاوة الحروف وتكرير المعنى وإظهار المعاني  
الكثيرة باللفظ اليسير، وكلها من مراتب البلاغة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: معارف النصّ.

يرشد النصّ الشريف «وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ» إلى إنّ  
من البداهة أن تكون عملية إيذاء الحقوق مقرونة بمعرفتها،  
وهو أمر لا يُحرز وإن أُجتهد المجتهد في معرفة حقوق الله تعالى،  
ومن ثمّ فالأمر من الأصل ممتنع، وذلك أن المعرفة لا تنحصر  
بمعرفة النعم وكثرتها، ووجوب الشكر عليها بقريضة العجز عن  
إحصائها، وإنما في معرفة حق الله تعالى في مقام الربوبية والتوحيد،  
فكيف يؤدي المجتهدون حق ربوبيته وتوحيده ويبلغون منتهى  
رضاه عزّ شأنه؟!

ولذا: نجده (عليه الصلاة والسلام) ينتقل الى بيان أثر  
المعرفة فيجعلها أول الدين، ثم يجعل كمال المعرفة في التصديق  
به، وكمال تصديقه في توحيده، فله الحمد على ذلك.

## المبحث الرابع

الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام):

«الَّذِي لَا يَدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ».

اشتمل النصُّ الشريف على جملة من المعارف، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللغوي.

١. الراوندي:

قال (رحمه الله): «(البعْد): ضد القرب<sup>(١)</sup> سواء كانا محسوسين أو لم يكونا، (والهمة): (ما هممت به)<sup>(٢)</sup>، وهو عزم مخصوص، (والنَّيْل): (الإصابة)<sup>(٣)</sup>، و(الغَوْص): الدخول تحت الماء لاستخراج الدر ونحوه<sup>(٤)</sup>، (والفِطْنة): علم متجرد من سماع كلام أو إشارة أو كناية<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.

---

(١) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٢/ ص ٥٣، مادة (بعْد).

(٢) العين، الفراهيدي: ج ٣/ ص ٣٥٧، مادة (همم).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ج ١٥/ ص ٢٦٧، مادة (نيل).

(٤) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٤/ ص ٤٣٢، مادة (غوص).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ج ٤/ ص ٥١٠، مادة (فطن).

(٦) منهاج البراعة، قطب الدين الراوندي: ج ١/ ص ٢٨.

٢. البحرانيّ:

قال (رحمه الله): «(النَّيْل): الإِصَابَةُ والوصول والوجدان<sup>(١)</sup>،  
(والهَمَّة): هي العزم الجازم والإرادة، يقال: فلان بعيد الهمة  
إذا كانت إرادته تتعلّق بعليّات الأمور [من] دون محقرّاتها<sup>(٢)</sup>،  
(الغوص): الحركة في عمق الشيء من قولهم: غاص في الماء  
إذا ذهب في عمقه<sup>(٣)</sup>، و(الفتن): جمع فطنة، وهي في اللغة  
الفهم<sup>(٤)</sup>، وهو عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذهن  
لتصوّر ما يرد عليه<sup>(٥)</sup>.

وقد تبعه الشارح الخوئيّ (رحمه الله) في إيراد المعنى نفسه<sup>(٦)</sup>،  
ومن ثمّة لا حاجة لتكرار القول.

٣- الشيرازيّ:

قال في بيان المعنى: «(همم) جمع همة تعني في الأصل الذوبان

(١) ينظر: تهذيب اللغة: ج ١٥ / ص ٢٦٧، مادة (نيل).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج ١٢ / ص ٦٢٠، مادة (همم).

(٣) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٤ / ص ٤٣٢، مادة (غوص).

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج ١٣ / ص ٣٢٣، مادة (فتن).

(٥) شرح نهج البلاغة: ج ١ / ص ١٠٧.

(٦) منهاج البراعة: ج ١ / ص ٣٠١.

المبحث الرابع: قوله ﷺ ((الَّذِي لَا يُدْرِكُكُمْ بَعْدَ الْهَمِّ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ))

والجريان والحركة ولهذا يطلق الهمّ حيث يسبب ذوبان جسم الإنسان وروحه، ثم أطلق على كل أمر مهم أو ما يشغل فكر الإنسان<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

**المسألة الثانية: شرح النص وبيان معارفه.**

أولاً: ما أفاده الشرح.

١ - البحراني:

قال (رحمه الله): «قوله (عليه السلام): (الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمِّ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ)، إسناد الغوص هاهنا إلى الفطن على سبيل الاستعارة إذ الحقيقة إسناده إلى الحيوان بالنسبة إلى الماء وهو مستلزم لتشبيه المعقولات بالماء، ووجه الاستعارة هاهنا أنّ صفات الجلال ونعوت الكمال لما كانت في عدم تناهيها والوقوف على حقائقها وأغوارها تشبه البحر الخضم الذي لا يصل السائح له إلى ساحل، ولا ينتهي الغائص فيه إلى قرار، وكان السائح لذلك البحر والحائض في تياره هي الفطن الثاقبة لا جرم كانت الفطنة شبيهة بالغائص في البحر فأسند

(١) ينظر: الصحاح، الجوهري: ج ٥ / ص ٢٠٦١، مادة (همم).

(٢) نفحات الولاية: ج ١ / هامش ص ٤٦.

الغوص إليها، وفي معناه الغوص في الفكر والغوص في النوم، ويقرب منه إسناد الإدراك إلى بعد الهمم إذ كان الإدراك حقيقة في حقوق جسم لجسم آخر وإضافة الغوص إلى الفطن والبعد إلى الهم إضافة لمعنى الصفة بلفظ المصدر إلى الموصوف، والتقدير لا تناله الفطن الغائصة ولا تدركه الهمم البعيدة.

ووجه الحسن في هذه الإضافة وتقديم الصفة أن المقصود لما كان هو المبالغة في عدم إصابة ذاته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالمهمة من حيث هي بعيدة كانت تلك الحيثية مقصودة بالقصد الأول، وقد بينا أن البلاغة تقتضي تقديم الأهم والمقصود الأول على ما ليس كذلك، وبرهان هذا المطلوب ظاهر فإن حقيقته تعالى لما كانت بريّة عن جهات التركيبات عربيّة عن اختلاف الجهات مترعة عن تكثير المتكثرات، وكانت الأشياء إنّما تعلم بما هي من جهة حدودها المؤلفة من أجزائها فإذا صدق أنّ واجب الوجود ليس بمركب وما ليس بمركب ليس بمدرك الحقيقة وصدق أنّ واجب الوجود ليس بمدرك الحقيقة فلا تدركه همّة وإن بعدت ولا تناله فطنة وإن اشتدت فكلّ سائح في بحار جلاله غريق، فكلّ مدّع للوصول فبانوار

المبحث الرابع: قوله (عليه السلام) ((الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدَ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ))

كبريائه حريق لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيراً<sup>(١)</sup>.

## ٢. الخوئي:

قال (رحمه الله): «(الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدَ الْهِمَمِ): أي لا يدرکه همم أصحاب النظر وأوهام أرباب الفكر وإن علت وبعدت، والمراد ببعدها تعلقها بالأمور المعظمة، والمبادئ العالية (وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ)، أي: لا يصيب كنه ذاته غوص أرباب الفطن في بحار معرفته وكنه حقيقته.

قال الصّدر الشّيرازي: (وإسناد الغوص إلى الفطن على سبيل الاستعارة، إذ الحقيقة إسناده إلى الحيوان بالنسبة، وهو مستلزم لتشبيه العلوم العقلية بالماء)<sup>(٢)</sup>.

ثم يمضي الشارح الخوئي بنقل ما أورده البحراني، والذي مرّ ذكره آنفاً إلى أن يقول:

«إذا عرفت ذلك فنقول: هاتان الفقرتان إشارتان إلى عدم إمكان إدراك ذاته، والوصول إلى حقيقته وهو ممّا لا ريب فيه.

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ / ص ١١٤.

(٢) منهاج البراعة: ج ١ / ص ٣٠٢.

وبرهانه ما رواه في الكافي، الكليني، عن علي بن إبراهيم عن أبيه  
عن بعض أصحابه عن هشام بن الحكم، قال:

(الأشياء كلها لا تدرك إلا بأمرين بالحواس والقلب  
والحواس إدراكها على ثلاثة معانٍ إدراكاً بالمداخلة وإدراكاً  
بالمماسّة وإدراكاً بلا مداخلة ولا مماسّة فأمّا الإدراك الذي  
بالمداخلة فالأصوات والمشام والطعوم وأمّا الإدراك بالمماسّة  
فمعرفة الأشكال من التربيع والتثليث ومعرفة اللين والحشن  
والحرّ والبرد وأمّا الإدراك بلا مماسّة ولا مداخلة فالبصر فإنه  
يدرك الأشياء بلا مماسّة ولا مداخلة في حيز غيره ولا في حيزه  
وإدراك البصر له سبيل وسبب فسبيله الهواء وسببه الضياء فإذا  
كان السبيل متصلاً بينه وبين المرئي والسبب قائم أدرك ما يلاقي  
من الألوان والأشخاص فإذا حمل البصر على ما لا سبيل له فيه  
رجع راجعاً فحكى ما وراءه كالناظر في المرآة لا ينفذ بصره في  
المرآة فإذا لم يكن له سبيل رجع راجعاً يحكي ما وراءه وكذلك  
الناظر في الماء الصافي يرجع راجعاً فيحكي ما وراءه إذ لا سبيل  
له في إنفاذ بصره فأمّا القلب فإنما سلطانها على الهواء فهو يدرك  
جميع ما في الهواء ويتوهمه فإذا حمل القلب على ما ليس في الهواء

المبحث الرابع: قوله (عليه السلام) ((الَّذِي لَا يَدْرِكُكُمْ بَعْدَ الْهِمَسِ، وَلَا يَبَالُغُ غَوْصَ الْفِطَنِ))

مَوْجُوداً رَجَعَ رَاجِعاً فَحَكَى مَا فِي الْهَوَاءِ فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ  
يَحْمَلَ قَلْبَهُ عَلَى مَا لَيْسَ مَوْجُوداً فِي الْهَوَاءِ مِنْ أَمْرِ التَّوْحِيدِ جَلَّ  
اللهُ وَعَزَّ فَإِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَتَوَهَّمْ إِلَّا مَا فِي الْهَوَاءِ مَوْجُودٌ كَمَا  
قُلْنَا فِي أَمْرِ الْبَصْرِ تَعَالَى اللهُ أَنْ يُشَبَّهَ خَلْقُهُ<sup>(١)</sup>.

توضيحه أن المدارك على كثرتها منحصرة في أمرين، لأنّ  
العوامل على كثرتها منحصرة في عالمين أحدهما عالم الدنيا والشهادة،  
والثاني عالم الغيب والآخرة، فالمدرك لما في عالم الشهادة هو إحدى  
الحواس الخمس، والمدرك لما في عالم الغيب هو القلب، والمراد  
بالقلب مجمع المشاعر الباطنة، أعني الخيال والوهم والعقل.

أما مدركات الحواس فلا تتجاوز عن المحسوسات، وهي  
منحصرة في الجسم والجسمانيات، والله سبحانه منزّه عن ذلك.  
وأما مدركات القلوب فإنها هي منحصرة لما في الهواء،  
والمراد بالهواء هو الفضاء ما بين السماء والأرض، ولعل المراد  
به هنا عالم الامكان طولا وعرضا، وتسميته بالهواء من باب  
تسمية الكلّ باسم الجزء.

وإنما قلنا إن المراد به ذلك، لأنّ إدراك القلب غير مقصور

(١) الكافي، الكليني: ج ١ / ص ٩٩-١٠٠.

على مدركات الحواس، ولا مشروط بشرائط إدراك الحواس فيدرك جميع ما في الهواء بوساطة ولا بوساطة بالتّوهم، فإذا حمل القلب على إدراك ما ليس بموجود في الهواء يعود راجعاً، فيخترع صورة من عنده، فيحكي لما ليس بموجود في العين بما يخترع في وهمه، وهكذا عادته في المواضيع المظلمة والمخاوف، فلا بدّ للعاقل أن لا يحمل قلبه على إدراك ما ليس بموجود، كحمله على الموجود، ولا يحمل على ما ليس بمحسوس لأن لا يقع في غلط الوهم، وكذا من طلب إدراك الحق من طرق الحواس وقع في الزّيف والضلال، فأنه سبحانه أجلّ وأعظم من أن يطلب وينال من سبيل الحس والخيال، ولذلك قال الباقِر (عليه السلام):

(كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مصنوع مثلكم، مردود إليكم)<sup>(١)</sup>.

فقد تلخّص ممّا ذكرنا كله أن كلّ سابح في بحار جلاله غريق، وكلّ مدّع للوصول إليه فأنوار كبريائه حريق، سبحانه وتعالى شأنه علوّاً كبيراً<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح أصول الكافي، الكليني: ج ١/ ص ٢٥.

(٢) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي: ج ١/ ص ٣٠٢-٣٠٥.

المبحث الرابع: قوله (ﷺ) ((الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدَ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ))

### ٣. التستري:

قال (رحمه الله): «قوله (عليه السلام): (الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهِمَمِ)، أي: لا يصل الى كنهه الهمم العالية الراقية إلى شوامخ الأمور.

(وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ) أي: لا ينتهي إلى هويته الفطن الغائصة لجج الأفكار.

قال الخوئي: إضافة (بَعْدُ الْهِمَمِ) و(غَوْصُ الْفِطَنِ) ليس من باب إضافة الصفة إلى الموصوف على ما قيل لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف<sup>(١)</sup>.

قلت: ما قيل سليم، وما قاله هو عليل، فالمطابقة إنما في ما إذا بقيت الصفة على وصفها لا بعد تبديلها، فيقال: زيد بعيد الهمم، والأصل ذو همم بعيدة.

ثم مثل قوله (عليه السلام) هنا:

(الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ) قوله (عليه السلام) في الثالثة: (فبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ج ١/ ص ٣٠٣.

ولا يناله حدس الفطن)، فإن الفرق بينهما إنما في اللفظ، والمعنى واحد.

وما نقلناه (حدس الفطن) إنما هو في (ابن أبي الحديد المعتزلي وابن ميثم) فنقل (المصرية) (حسن الفطن) تصحيف.

وفي (الكافي، الكليني): (سأل أبو هاشم الجعفري الجواد (عليه السلام) عن قوله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ...﴾<sup>(١)</sup> فَقَالَ:

«يَا أَبَا هَاشِمٍ أَوْهَامُ الْقُلُوبِ أَدَقُّ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السَّنَدَ وَالْهِنْدَ وَالْبُلْدَانَ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْهَا وَلَا تُدْرِكُهَا بِبَصْرِكَ وَأَوْهَامُ الْقُلُوبِ لَا تُدْرِكُهُ فَكَيْفَ أَبْصَارُ الْعُيُونِ؟»<sup>(٢)</sup>

هذا ومن المضحك أن جمهور متكلمي العامة يدعون أنهم يعرفون حقيقة ذاته، وأفرطوا في الوقاحة، فقالوا: إنه تعالى لا يعلم من ذاته إلا ما نعلم منها»<sup>(٣)</sup>.

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) الكافي، الكليني: ج ١/ ص ٩٩.

(٣) بهج الصباغة، محمد تقي التستري: ج ١/ ص ١٤٩.

المبحث الرابع: قوله ﷺ ((الَّذِي لَا يُدْرِكُ بَعْدَ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ))

ثانياً. معارف النصّ.

يفهم من النصّ الشريف، فضلاً عمّا أفاد به الشّراح، ما يأتي:

١ - يحدّد (عليه السلام) في قوله: «الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ» العملية الإجرائية للمعرفة بأمرين وهما: (الهمم) و(الفتن)، وكلاهما عاجز عن الوصول الى تحقيق المعرفة؛ فلا الهمم وإنّ بعدت في غورها وجنحت في خيالها وانمازت في قوتها بين بني البشر أن تدرك معرفة الله تعالى، ولا الفطنة وإنّ انمازت في توقدها وبحثها في بحور الفكر أن تنال معرفته جلّت قدرته، ومن ثم فهذا العجز في الإدراك والنيل مترادف مع العجز عن بلوغ مدحه، وأحصاء نعمائه، وأداء حقه.

٢- تحقيق حديث «كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه، مخلوق مصنوع مثلكم، مردود إليكم»، وفيه جملة من الملاحظات، وهي:

أ- ورد في مصادر الفريقين وبألفاظ عدّة.

ب- ورد الحديث في كتب الخاصة مرسلًا ونُسبَ إلى ثلاثة من الأئمة (عليهم السلام)، فقد نسبه ابن ميثم البحرانيّ (٦٧٩ هـ)

إلى الإمام الباقر (عليه السلام)<sup>(١)</sup>، وتبعه في ذلك الشيخ البهائي (ت ١٠٣١هـ)<sup>(٢)</sup>، والمحقق الداماد (ت ١٠٤١هـ)<sup>(٣)</sup>، والعلامة المجلسي (ت ١١١١هـ)<sup>(٤)</sup>، والسيد حبيب الله الخوئي (ت ١٣٢٤هـ)<sup>(٥)</sup> في مواضع عدّة من الشرح، وغيرهم (رحمهم الله تعالى)، وتبعهم في ذلك كثير من المعاصرين، والظاهر أنهم أخذوا الحديث عن البحرانيّ فقد نقلوا نص عبارته في كتبهم. في حين نسبه السيد محمد تقي النقويّ (ت ١٤٤٠هـ) إلى الإمام الصادق (عليه السلام) - كما مرّ -؛ ونسبه السيد جعفر مرتضى العاملي (ت ١٤٤١هـ)<sup>(٦)</sup>.

٣ - ورد الحديث في مصادر أهل الجماعة ونسبوه إلى أبي بكر الشبلي، وهو أحد أقطاب الصوفية<sup>(٧)</sup>، فقد رواه السلمي

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ١ / ص ١١٠.

(٢) مشرق الشمسين، البهائي العاملي: ص ٣٩٨.

(٣) الرواشح الساوية، المحقق الداماد: ص ٢٠٦.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ج ٦٦ / ص ٢٩٣.

(٥) منهاج البراعة، الخوئي: ج ١ / ص ٣٠٤.

(٦) تفسير سورة هل أتى: جعفر مرتضى العاملي: ج ١ / ص ١٠٨.

(٧) ترجم له غير واحد من أعلام أهل الجماعة، ومنهم: السلمي في طبقات

المبحث الرابع: قوله (عليه السلام) ((الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدَ الْهِمَسِ، وَلَا يَبَالُهُ غَوْضُ الْفِطَنِ))

(٤١٢هـ) في تفسيره<sup>(١)</sup>، وأبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)<sup>(٢)</sup>،  
وأبن عساكر (ت ٥٧١هـ)<sup>(٣)</sup>، وغيرهم.

٤ - قد يكون الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام)،  
وذلك لما اشتهر عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من  
العلوم لا سيما علم التوحيد، فيتناولها أهل العلم والفكر  
والأدب والبلاغة وغيرهم، فيحدثون بها الناس دون التصريح  
بنسبتها إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، لكن لم أعثر على

الصوفية، فقال: (أبو بكر الشبلي. واسمه دلف، يقال: ابن جحدر،  
ويقال: ابن جعفر. ويقال: اسمه جعفر بن يونس. [سمعت الحسين بن  
يحيى الشافعي، يذكر ذلك: وكذلك رأيت به ببغداد، مكتوبا على قبره].  
وهو خراساني الأصل، ببغداد المشأ والمولد. وأصله من أسروشنة. ومولده  
- كما قيل - سامرا.

تاب في مجلس خير النساج. وصحب جنيد، ومن في عصره من المشايخ. وصار  
أوحده وقتة حالاً وعلماً. وكان عالماً، فقيها على مذهب مالك.

عاش سبها وثمانين سنة. ومات في ذي الحجة، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.  
ودفن في مقبرة الخيزران. وقبره اليوم ظاهر، ينظر: طبقات الصوفية،  
السلمي: ص ٣٣٨.

(١) تفسير السلمي، السلمي: ج ٢ / ص ٢٢٤.

(٢) حلية الأولياء: الأصبهاني: ج ١٠ / ص ٣٧٠.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر: ج ٦٦ / ص ٦٠.

قرينة تعضد نسبة هذا الحديث إلى الإمام الباقر (عليه السلام) لاسيما وأن الأختلاف في ألفاظه كثيرة، فضلاً عن عزوف رواة صحابة الأئمة (عليه السلام) وحملة حديثهم عنه، ناهيك عن أن المفسر السلمي (المتوفى ٤١٢ هـ) هو الأقرب إلى عصر الشبلي مما يعضد نسبته إليه، والله العالم.

## المبحث الخامس:

الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام)

«الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعَتْ مَوْجُودٌ»

اشتمل النصُّ الشريف على جملة من المعارف، وهي على

النحو الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللغوي.

١. الراوندي:

قال (رحمه الله): «(ليس): كلمة لنفي الحال وهو فعل<sup>(١)</sup> والصفة في أصل الوضع مصدر كالوصف، وفي العرف اسم صريح، وأصل (الصفة): وصفة حذف فاء فعلها، كالزّنة والعدّة.

ولم تكن العرب ممن تثبت الصفات على ما اصطاح عليه أهل الأصول، وإنما يعرفون من حيث الصفات والصور والهيئات، وذلك منفي عنه تعالى.

---

(١) ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل الهمداني: ج ١ / ص ٢٦٨.

وأوضاع الصور أغيار للذات، فيجوز أن يكون مراده (عليه السلام) ذلك.

و (الحدّ) في اللغة منتهى الشيء وغايته<sup>(١)</sup>، ويكون بمعنى المنع<sup>(٢)</sup>، وأما قال: (حدّ مُحَدُوْدٌ) وصفه بما هو منه للمبالغة، كقولهم: (شعر شاعر).

و (النعت): وصفك الشيء بما فيه من حسن؛ قاله الخليل، فكل شيء جيد بالغ فهو نعت<sup>(٣)</sup>.

والموجود: هو الذي له صفة الوجود من المعلومات، والأصح أن لا يحد الموجود، لأن الحدّ إنما يذكر ليكشف المحدود والموجود أظهر من كل ما يحد به، ولذلك عيب على من حده بأنه الكائن أو الثابت.

وتصح التسمية بالنفي والإثبات في الموجود، لأنّه أما لا بد أن يكون لوجوده أول وهو المحدث أولاً، أول لوجوده وهو القديم<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٣ / ص ١٩، مادة (حدد).

(٢) ينظر: جمهرة اللغة، أبي بكر الأزدي: ج ١ / ص ٩٥، مادة (حدد).

(٣) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٢ / ص ٧٣، مادة (نعت).

(٤) منهاج البراعة، قطب الدين الروندي: ج ١ / ص ٣٢-٣٣.

المبحث الخامس: قوله (عليه السلام): ((الَّذِي لَيْسَ لِيَصْنَعَهُ حَدٌّ مُحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مُوجُودٌ))

## ٢. البحراني:

قال (رحمه الله): «وحد الشيء متناه، والحد المنع<sup>(١)</sup>، ومنه سمى العلماء تعريف الشيء بأجزائه حداً لأنه يمنع أن يدخل في المحدود ما ليس منه أو يخرج منه ما هو منه، والنعته الصفة<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

## المسألة الثانية: شرح النص وبيان معارفه.

### أولاً: ما أفاده الشراح.

#### ١. الخوئي:

قال (رحمه الله): «الظاهر أن المراد بصفته: الصفات الذاتية، وهي العلم والحياة والقدرة والاختيار وأمثالها، والمراد بالحد: الغاية والنهائية، يقال: هذا حد الأرض أي غايتها ومنتهاها، والمحدود من حد الشيء عن الشيء إذا عينه، فالمعنى أنه ليس لصفاته غاية معينة، ونهاية مميّزة.

ويشهد به ما رواه في الكافي، الكليني بإسناده عن الكاظمي قال:

(١) ينظر: تاج العروس: ج ٨ / ص ٦، مادة (حدد).

(٢) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٢ / ص ٧٢، مادة (نعت).

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ١ / ص ١٠٧.

كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ (عليه السلام) فِي دُعَاءٍ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْتَهَى عِلْمِهِ فَكَتَبَ إِلَيَّ لَا تَقُولَنَّ مُنْتَهَى عِلْمِهِ  
فَلَيْسَ لِعِلْمِهِ مُنْتَهَى وَلَكِنْ قُلْ مُنْتَهَى رِضَاهُ»<sup>(١)</sup>، هذا ويحتمل  
أن يكون المراد بالحدّ: الحدّ المنطقي، وهو ما يعرف به الشّيء  
فيكون المعنى أنّه ليس لذاته حدّ يعرف به قياساً على الأشياء  
المحدودة، وذلك لأنّه ليس بمركب وكلّ محدود مركب.

وفي الكافي، الكليني عن أبي حمزة قال: (قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ  
الْحُسَيْنِ (عليه السلام):

«يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ عَظَمَ رَبُّنَا عَنِ  
الصِّفَةِ فَكَيْفَ يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ مَنْ لَا يُحَدُّ»<sup>(٢)</sup>.

أقول: يعنى من ليس له حدّ لتنزّهه عن الأجزاء والنّهيات،  
والحدّ مستلزم للتجزئة والتكثّر المنافي للوجوب الذاتى، وعدم  
الافتقار، ويمكن أن يكون وصف الحدّ بالمحدود من باب  
المبالغة والتّأكيد من قبيل شعر شاعر، وحجراً محجوراً، ونسياً  
منسياً، ونحو ذلك، أو المفعول بمعنى الفاعل كما في قوله تعالى:

(١) الكافي، الكليني: ج ١ / ص ١٠٧.

(٢) الكافي، الكليني: ج ١ / ص ١٠٠.

المبحث الخامس: قوله عليه السلام: ((الَّذِي لَيْسَ لِيَصِفَنَّهُ حَدٌّ مُحْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ مُوجُودٌ))

﴿حِجَاباً مُسْتُوراً﴾<sup>(١)</sup>، أي ساترا و﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>، أي آتيا؛ (وَلَا نَعْتُ مُوجُودٌ) أي: رسم موجود يرسم به قياسا على الأشياء المرسومة بلوازمها وأوصافها، وألا يلزم كون الذات محلاً للأعراض والأوصاف وهو منزّه عن ذلك.

ويدل عليه ما رواه في الكافي، الكليني عن الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى عن ربيعي بن عبد الله عن الفضيل بن يسار قال:

(سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ وَكَيْفَ يُوصَفُ وَقَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، فَلَا يُوصَفُ بِقَدَرٍ إِلَّا كَانَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية أبي حمزة عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: قَالَ:

(١) الإسراء: ٤٥.

(٢) مريم: ٦١.

(٣) الأنعام: ٩١.

(٤) الكافي، الكليني: ج ١ / ص ١٠٣.

لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَصِفُوا اللَّهَ بِعَظَمَتِهِ لَمْ يَقْدِرُوا<sup>(١)</sup>.

قال بعض المحققين: لأنّ الذات الأحديّة والهويّة القيوميّة، ممّا لا ماهيّة له، ولا جزء لذاته، فلا جدّ له ولا صورة تساويه، فلا حكاية عنه، ولأنّ وجوده الذي هو عين ذاته غير متناه الشدة في التوريّة فلا يكتننه لاحظ، ولا يستقر لإدراكه ناظر<sup>(٢)</sup>«<sup>(٣)</sup>.

٢. التستري:

قال (رحمه الله): «(الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ)، أي: لتوصيفه، فيأتي كلامه (عليه السلام): (وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ)، والمراد ليس لذاته: (حَدُّ مَحْدُودٍ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٍ، وَلَا أَجَلٌ مَحْدُودٍ)، لكون هذه الأمور من عوارض الجسمانيات، وهو تعالى منزّه عن ذلك.

وروى (توحيد الصدوق) خطبة عنه (عليه السلام) في

(١) الكافي، الكليني: ج ٢/ ص ١٠٢.

(٢) ينظر: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي (ت: ١٠٥٠هـ)، مطبعة مهر استوار، مكتبة المصطفى، قم- إيران: ج ٧/ ص ٣١٧.

(٣) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي: ج ١/ ص ٣٠٥-٣٠٦.

المبحث الخامس: قوله (عليه السلام): ((الَّذِي لَيْسَ لِيَصِفَنَّهُ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ))

استنهاضه الناس الى حرب معاوية ثانية وفيها: (الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَقْتُ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ وَلَا نَعْتُ مَحْدُودٌ) (١) «(٢)» .

ثانيا: معارف النص.

يعالج النص الشريف في قوله (عليه الصلاة والسلام): «الَّذِي لَيْسَ لِيَصِفَنَّهُ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ».

ما علق في الفكر الإسلامي من شبهات في التوحيد، وهذا يرشد إلى ما اختصاصه بعلم النبوة، فما زال الكلام تدور رحاه لدى الفلاسفة والمتكلمين والمشرعة حول الصفات، إلا أن الثابت الذي لا يختلف فيه علماء الإمامية هو أن صفته عين ذاته جلّت قدرته، ومن ثم فقد أمتنع الفكر من الخوض والغوص في مدارك الفهم وأعلن عجزه عن الوصول إلى حد صفة من صفاته عزّ شأنه، بل أنعدم النعت في صفته.

ولذا ينتقل (عليه السلام) إلى عامل الوقت والأجل متحديا العقل البشري، بمعنى لن يكون للتطور الفكري، والنمو الذهني، والتنوع الإدراكي بفعل الوقت مدخلية في الوصول إلى وضع حد

(١) الكافي، الكليني: ج ١/ ص ١٣٥، التوحيد: ص ٤٢.

(٢) بهج الصباغة، محمد تقي التستري: ج ١/ ص ١٥٠.

محدود لصفة من صفاته تعالى، ولن يكون الأجل وإن أمتد بكفيل  
بتحقيق مراد العقل في وضع الحدّ أو النّعت لصفة من صفاته،  
فسبحان من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

## المبحث السادس

الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام):

«وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ»

اشتمل النصُّ الشريف على جملة من المعارف، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللغوي.

١. الراوندي:

قال (رحمه الله): «(الوقت): الزمان<sup>(١)</sup>، وهو عند المتكلمين عبارة عن تحريك الفلك ودورانه على وجهه، وهو حادث أو في حكم الحادث.

و(الأجل): مدة الشيء<sup>(٢)</sup>، يقولون المحرم وقت مولد فلان وصفر أجل موته<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٥ / ص ١٩٩ مادة (وقت)، ومقاييس اللغة: ج ٦ / ص ١٣١ مادة (وقت).

(٢) الصحاح، الجوهري: ج ٤ / ص ١٦٢١.

(٣) ينظر العين، الفراهيدي: ج ٦ / ص ١٧٨.

والأصل في الأجل أيضاً الوقت <sup>(١)</sup>، والمدة والوقت سواء،  
يقال مددت الشيء مداً: طولته وزدته <sup>(٢)</sup> «<sup>(٣)</sup>».

٢. البحرانيّ:

قال (رحمه الله): «الأجل المدّة المضروبة للشيء» <sup>(٤)</sup>.

٣. الخوئيّ:

قال (رحمه الله): «(والوقت) مقدار حركة الفلك (والأجل)  
هو الوقت المضروب للشيء الذي يحلّ فيه <sup>(٥)</sup>، ومنه أجل الإنسان  
للوّقت المقدر فيه موته، وأجل الدّين للوقت الذي يحلّ فيه  
قضاؤه» <sup>(٦)</sup>.

المسألة الثانية: شرح النصّ وبيان معارفه.

أولاً: ما أفاده الشرح.

(١) تاج العروس: ج ٢٧/ ص ٤٣٥، مادة (أجل).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ج ٥/ ص ٢٦٩، مادة (مدد).

(٣) منهاج البراعة، قطب الدين الراوندي: ج ١/ ص ٣٣.

(٤) ينظر: تاج العروس: ج ٢٧/ ص ٤٣٤، مادة (أجل).

(٥) ينظر: تاج العروس: ج ٢٧/ ص ٤٣٤، مادة (أجل).

(٦) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئيّ: ج ١/ ص ٣٠٢.

المبحث السادس: قوله ﷺ: ((وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٍ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ))

## ١. البحراني:

قال (رحمه الله) «وصف الوقت بكونه (معدودا) كقوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>، وكقوله: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو المعلوم الداخل في الإحصاء والعدّ، وذلك أنّ العدّ لا يتعلّق بالوقت الواحد من حيث هو واحد فإنّه من تلك الحيثيّة ليس معدودا بل مبدئ للعدد وإنّما يتعلّق به من حيث أنّه داخل في الأوقات الكثيرة الموجودة في الزمان إمّا بالفرض أو بالفعل التي يلحق جملتها عند اعتبار التفصيل كونها معدودة إذ يقال: هذا الفرد معدود في هذه الجملة أي داخل في عدّها ومراده في هذين الحكمين نفي نسبة ذاته وما يلحقها إلى الكون في الزمان وأن يكون ذات أجل ينتهي إليه فينقطع وجودها بانتهائه وبيان ذلك من وجهين:

أحدهما: أنّ الزمان من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فلمّا كان الباري سبحانه منزّها عن الجسميّة استحال أن يكون في زمان.

(١) البقرة: ٢٠٣.

(٢) هود: ١٠٤.

الثاني: أنه تعالى إن أوجد الزمان وهو في الزمان لزم كون الزمان متقدماً على نفسه وإن أوجده بدون أن يكون فيه كان غنياً في وجوده عنه فهو المطلوب فإذا صدق هذين السلبين في حقه معلوم، وقد حصل في هذه القرائن الأربع السجع المتوازي مع نوع من التجنيس»<sup>(١)</sup>.

## ٢. الخوئي:

قال (رحمه الله): «وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٍ، وَلَا أَجَلٌ مَّحْدُودٌ» لأنّه أزليّ أبديّ واجب الوجود لا يختصّ وجوده بوقت دون وقت، وبأجل دون أجل، بل هو خالق الوقت والأجل لا ابتداء لوجوده، ولا انتهاء لبقائه.

ولذلك نهى في الأخبار الكثيرة عن السؤال عنه سبحانه بمتى، كما في الكافي، الكليني عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

(جَاءَ حَبْرٌ مِّنَ الْأَجْبَارِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّكَ فَقَالَ لَهُ تَكَلَّمْتُ أُمُّكَ وَمَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يُقَالَ مَتَى كَانَ كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلِ وَبَعْدَ الْبُعْدِ بِلَا بَعْدٍ وَلَا غَايَةَ وَلَا مُنْتَهَى لِغَايَتِهِ انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَهُ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ١/ ص ١١٥-١١٦.

المبحث السادس: قوله عليه السلام: ((وَلَا وَقْتُ مُعَدُّودٍ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ))

فَهُوَ مُتَّهَى كُلِّ غَايَةٍ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنَبِيٌّ أَنْتَ فَقَالَ وَيْلَكَ  
إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - (١).

قال بعض شراح الحديث: متى عبارة عن نسبة المتغيرات إلى الزّمان، وهذا يستلزم أن يكون الموجود في شطر من الزّمان، غير موجود فيه سابقا ولا لاحقا، فإذا قيل لشيء متى كان فمعناه السّؤال عن خصوصيّة الوقت الذي اتّفق وجوده فيه، دون سائر الأوقات، كما إذا قيل أين كان، فمعناه السّؤال عن خصوصية مكانه الذي وجد فيه دون سائر الأمكنة (٢).

وبالجمله الزّمان لكونه مقدار الحركة علة تغيير الأشياء الزّمانية ولا علة لتغييره لأنّه بنفسه متغير غير قارّ الذات، ولما لم يكن وجوده سبحانه زمانيا، لأنّه غير متغير أصلا ولا بمتحرك، ولا علاقة له بمتحرك، لا يكون واقعا في الزّمان فلا يصحّ السّؤال عنه بمتى ولذلك نبّه على فساد السّؤال عنه بمتى بقوله: (ومتى لم يكن حتّى يقال متى كان) (٣)، فإنّ من

(١) الكافي، الكليني: ج ١ / ص ٩٠.

(٢) ينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ج ٥٤ / ص ٣٢.

(٣) الأمالي، الصدوق: ص ٧٦٩.

خاصية المنسوب إلى الزّمان أنّه ما لم ينقطع نسبته عن بعض أجزاء الزّمان، لم ينسب إلى بعض آخر فالموجود في هذا اليوم غير الموجود في الغد، ولا في الأمس، ولكن الباري جل جلاله لكونه محيطاً بجميع الموجودات إحاطة قيوميّة، فنسبته إلى الثّابت والمتغيّر والمجرّد والمكان نسبة واحدة، ولم يزل ولا يزال من غير أن يتصوّر في حقّه تغيّر، وتجدد بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في صفته ولا في إضافته ونسبته، فصحّ القول بأنّه لا يخلو منه زمان.

وقوله (عليه السلام):

(قَبْلَ الْقَبْلِ بِلاَقَبْلٍ)، أي هو قبل كلّ من يفرض له القبليّة، ومثله بعد البعد بلا بعد ولا غاية أي ولا نهاية لوجوده في جهة القبليّة والبعديّة، لكونه أزليّاً أبديّاً، ولا منتهى لغاية أي ليس نهاية لامتداد إذ ليس له كميّة مقتضية لاتصافه بالأطراف والنّهيات واقترانه بالامتداد والغايات، انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كلّ غاية، لأنّه منتهى غرض الخلائق ومفرعهم في المهّمات والمقاصد، فهو منتهى سير السّائرين، وغاية شوق المسافرين، ونهاية قصد الطالبين»<sup>(١)</sup>.

(١) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي: ج ١/ ص ٣٠٥-٣٠٧.

## ثانيا: معارف النص.

يمكن الإجمال فيما بينه الشراح لقوله (عليه الصلاة والسلام): «وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٍ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ»: بأمور:

١- في بيان الشراح المعتزلي، قال: (فيه إشارة إلى الرد على من قال: إنا نعلم كنه الباري سبحانه لا في هذه الدنيا بل في الآخرة، فإن القائلين برؤيته في الآخرة يقولون: إنا نعرف حيثئذ كنهه، فهو عليه السلام رد قولهم، وقال: إنه لا وقت أبدا على الإطلاق تعرف فيه حقيقته وكنهه، لا الآن ولا بعد الآن، وهو الحق).

أقول: إن كلامه (عليه السلام) بعيد كل البعد عن الرد على من أدعى الرؤية لله تعالى في الآخرة، وهو كذا بعيد عن القول بالمعرفة، ولا توجد أي إشارة في النص الشريف إلى ما ذهب إليه المعتزلي؛ وذلك أنه عليه السلام في معرض نفي الصفات السلبية عن الله تعالى في الوقت والأجل، ولم يكن الحديث في الرؤية والمعرفة.

٢- أما قول الرواندي (رحمه الله): (ومعنى الكلام أن شكري متجدد لله تعالى في كل وقت) والذي أشكل عليه المعتزلي بقوله: (فاسد، ولا ذكر في هذه الألفاظ للشكر، ولا أعلم من أين خطر

هذا للراوندي!)، والسؤال قائم في الوقت نفسه للمعتزلي فلا ذكر للرؤية والمعرفة في هذه الألفاظ، ولا أعلم من أين خطر هذا للمعتزلي؟!

بل أن الراوندي أستفاد من أصل الكلام الذي أبتدئه عليه السلام بالحمد، ومن ثم أنصرف ذهنه الى مقاصدية النص الشريف في موارد الحمد، ومنها أن الله تعالى ليس له صفة سلبية. ٣- إن ما يكشف عن مقاصدية النص الشريف في نفي الأجل هو: نفي الزمن؛ وذلك أن الوقت والأجل هما من خواص الزمن وهما منفيان عن الله تعالى، وليس المقصود من الأجل ذهاب الروح عن الأجسام وموتها كما ذهب إليه المعتزلي ونسبه إلى أهل النظر في بيان معنى الأجل بقوله:

(والأجل عندهم هو الوقت الذي يعلم الله تعالى أن حياة الحيوان تبطل فيه، مأخوذ من أجل الدين، وهو الوقت الذي يحل قضاؤه فيه).

فهذا المعنى نقيض قصدية الوقت، وإنما هو من مقاصد الحياة وولوج الروح في الأجسام؛ وكلامه عليه السلام في نفي الصفات السلبية في الوقت وأنتهائه وكلامهما من خواص الزمن.

## المبحث السابع

الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام):

«فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ»

اشتمل النصُّ الشريف على جملة من المعارف، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللغوي.

١. الراوندي:

قال (رحمه الله): «أما تفسير ألفاظه: فإن (فَطَرَ) بمعنى خلق وابتدع<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

٢. البحراني:

قال (رحمه الله): «الفطرة: الشقُّ والابتداع<sup>(٣)</sup>؛ قال ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>، حتّى جاءني أعرابيان يختصمان على بئر فقال

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج ٥ / ص ٥٦، مادة (فطر).

(٢) منهاج البراعة، قطب الدين الراوندي: ج ١ / ص ٣٨.

(٣) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٧ / ص ٤١٨، مادة (فطر).

(٤) الأنعام: ١٤.

أحدهما أنا فطرتهما، أي: ابتدعتها.

و(الخلائق): جمع خليفة، وهي إمّا بمعنى المخلوق يقال: هم خليفة الله وخلق الله أي مخلوقه أو بمعنى: الطبيعة؛ لأنّ الخليفة هي الطبيعة أيضاً<sup>(١)</sup> «<sup>(٢)</sup>».

المسألة الثانية: شرح النص وبيان معارفه.

أولاً: ما أفاده الشراح.

١. الراوندي:

قال (رحمه الله): «أما تفسير ألفاظه: فإن (فطر) بمعنى خلق وابتدع، و(الخلائق) أبلغ في التأكيد من الخلق لفظاً ومعنى وأعم شياً، وقدرة الله على خلقه كونه قادراً عليهم، وأصل القدرة أن يكون مصدراً، ويقال القدرة العظمة، والباء في قوله: (بِقُدْرَتِهِ) لاستصحاب الحال، كقولنا رفع يديه بالتكبير أي مكبراً، أي أنشأ الخلق قادراً عليهم، وليس تأثيره فيهم تأثير العلل وإنما أثره أثر القادرين، ليس على سبيل الإيجاب، بل على طريق الاختبار<sup>(٣)</sup>».

(١) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٤ / ص ١٥١، مادة (خلق).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ١ / ص ١٠٧.

(٣) منهاج البراعة، قطب الدين الراوندي: ج ١ / ص ٣٨.

فإنَّه (عليه السلام) نبَّه المكلفين على النظر في نعماء الله، فإنه ابتداء خلقهم وقدرهم ومكنهم وأقدرهم وأعلمهم، فمنهم من خلقه الله نطفة ثم علقته ثم مضغة ثم عظاماً ثم أنشأه خلقاً سوياً وهذا يكون في مثل بني آدم بالتناسل، ومنهم من خلقه على سبيل الأَنْشَاء والابتداء كالملائكة على ما تقتضيه المصالح.

ثم هيأ أسباب أرزاقهم وهيأ أمر معاشهم، أرسل الرياح فجمعت السحاب فأنزل المطر منه فأنبت به الزرع والأشجار، يأخذون منها المآكل والثمار، وجعل الأرض قراراً مهيناً للتصرف فيها كالمهد للصبى، وجعل الجبال للأرض أوتاداً لئلا تميد بأهلها، كما أن الخيام إنَّما تستقر وتثبت بالأطناب والأوتاد فيستمهد أهلها لكونها ويستقيمون لمكانها.

وأما ما يتعلق به من الكلام: فإن أصحاب الصفات من الأشعرية<sup>(١)</sup> ونحوهم يتمسكون بمثل ذلك ويقولون أنه

(١) هم الذين يثبتون لله تعالى الصفات الأزلية كالعلم والقدرة والحياة وغيرها من الإرادة والسمع والبصر والجلال والكلام والاكرام والجود والانعام والعزة والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً. وكذلك يثبتون صفات جسدية مثل اليدين والرجلين ولا يؤولون ذلك، ألا أنهم يقولون بتسميتها صفات جبرية. وهم أصحاب أبى الحسن علي بن إسماعيل بن أبى بشر إسحاق الأشعري

أثبت لقدرة الله.

ولا طائل لهم في ذلك؛ لأن الدلائل العقلية التي لا يدخلها التأويل تدل على أنه لا يحتاج إلى القدرة سواء كانت قديمة أو محدثة ولا إلى غير ذلك، فهو تعالى قادر لا بقدرة عالم لا بعلم حي لا بحياة، بل هو قادر لذاته عالم لذاته حي لذاته.

والقدرة كما تحمل على معنى مخصوص، فإنها تكون مصدراً في كلا الموضوعين يستعمل على الحقيقة، وإنما يخصص بأحدهما لقريئة، ولا قريئة أكد من دليل العقل.

فان قيل: كيف، تركيب هذه الجملة تدل على أنه فطر الخليفة قبل خلق السماوات والأرض.

قلنا: في ذلك وجهان:

أحدهما: أن ما يحسن منه تعالى أن يخلقه ابتداءً هو خلق حي وخلق شهوة فيه لمدرک موجود يدركه فيلتذ به، ويجوز أن يكون ذلك المدرک هو الحي نفسه، ويجوز أن يكون غيره، لأنه

المتولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ والمتوفى ببغداد سنة ٣٢٤هـ، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري. وأبو الحسن تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة. أنظر: الملل والنحل: ج ١/ ص ٩٥-١٠٢.

يجوز أن يشتهي غيره من المدركات، ولهذا قيل: ان تقديم الجهاد على الحيوان مطلقا قبيح من حيث كان عبثا.

**والثاني:** ما قاله المرتضى<sup>(١)</sup>، رضي الله عنه، وهو أنه لا يمتنع أن يتدبىء بخلق الجهاد إذا علم أنه إذا خلق بعد ذلك مكلفا وأخبره بأن الجهاد خلق أو لا كان ذلك لطفاله، ولا يمكن أن يكون هذا الخبر صدقا إلا بأن يكون خلق الجهاد قد تقدم.

ويطعن على هذا بأن يقال: وجه الحسن لا يجوز أن يتأخر عن حال حدوث الفعل، والخبر عن خلق الجهاد بعد خلقه الجهاد متأخر ولا يجوز أن يكون وجهها في حسن خلق الجهاد. والجواب عنه أن نقول: انه إذا علم من حاله انه يخلق المكلف فيما بعد ويخبره بذلك فينتفع به وقع في الحال خلق الجهاد حسا، كما أن وجه حسن التكليف علمه تعالى بأن المكلف متى فعل ما كلف

(١) فخر الشيعة أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى ابن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم (عليه السلام) الملقب بالمرتضى ذي المجدين علم الهدى، كان نقيب الطالبين، وكان إماما في علم الكلام والأدب واللغة، مناقبه لا تعد وأوصافه لا تحصى. ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفي سنة ٤٣٦هـ ودفن أولا في داره ثم نقل إلى جوار جده الحسين الشهيد روي فده؛ ينظر: رجال النجاشي: ص ١٩٢، فهرست الشيخ الطوسي: ص ٢١٨، رجال العلامة: ص ٤٦.

فعل به الثواب المستحق وان كان فعل الثواب متأخراً<sup>(١)</sup>.

٢. البحراني:

قال (رحمه الله): «قوله (عليه السلام): (فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَدَدَ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ).

أقول: لما قدّم الصفات السليّة شرع في الصفات الثبوتية وهذه الاعتبارات الثلاثة موجودة في القرآن الكريم.

أمّا الأوّل: فقوله تعالى: ﴿الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup> «<sup>(٣)</sup>.

أمّا المراد بقوله (عليه السلام): (فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ) فاعتباره من حيث استناد المخلوقات إلى قدرته ووجودها عنها.

ولما كانت حقيقة الفطر الشقّ في الأجسام كانت نسبتها هنا إلى الخلق استعارة، وللإمام فخر الدين في بيان وجه الاستعارة في أمثال هذا الموضع بحث لطيف قال: وذلك أنّ المخلوق قبل دخوله في الوجود كان معدوماً محضاً والعقل يتصوّر من العدم ظلمة متّصلة لا انفراج فيها ولا شقّ.

(١) منهاج البراعة، قطب الدين الراوندي: ج ١ / ص ٣٩-٤٢.

(٢) الإسراء: ٥١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ١ / ص ١١٦.

فإذا أخرج الموجد المتبدع من العدم إلى الوجود فكأنه بحسب التخيل والتوهم شق ذلك العدم وفطره وأخرج ذلك الموجود منه، قلت: إلا أن ذلك الشق والفطر على هذا التقدير لا يكون للموجود المخرج بل للعدم الذي خرج هذا الموجود منه اللهم إلا على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه حتى يكون التقدير الذي فطر عدم الخلائق. وهو استعمال شائع في العرف والعريّة كثيرا وحسنه بين الناس ظاهر ومثله فالق الحب والنوى على قول بعض المفسرين كما سنبينه.

وقال ابن الأنباري: لما كان أصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه فقوله: «فَطَرَ الْخَلَائِقَ» أي خلقهم وأنشأهم بالتركيب والتأليف الذي سبيله أن يحصل فيه الشق والتأليف عند ضم بعض الأشياء إلى بعض، ثم إن الفطر كما يكون شق إصلاح كقوله تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، كذلك يكون شق إفساد كقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَهَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿(٤)﴾.

(١) الأنعام: ١٤.

(٢) الانفطار: ١.

(٣) الملك: ٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ج ١/ ص ١١٦.

٣. الخوئي:

قال (رحمه الله): «في قوله (عليه السلام): (فَطَرَ الْخَلَائِقَ)، أي: خلقهم (بِقُدْرَتِهِ) وهذه اللفظة مأخوذة من الكتاب العزيز، قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، وفي سورة إبراهيم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي الأنعام: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>، أي خالقهما، وفي بعض التفاسير أي مبتدئهما ومبتدعهما، استشهاداً بما عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى اختصم إلى أعرابيين في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها<sup>(٤)</sup>. وقيل: إن فاطر من الفطر بمعنى الشق، كما في قوله سبحانه: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾<sup>(٥)</sup>، أي انشقت.

أقول: ويشهد به ما في حديث الخليفة في بيان الأشباح لآدم (عليه السلام):

(١) فاطر: ١.

(٢) إبراهيم: ١٠.

(٣) الأنعام: ١٤.

(٤) البرهان، الزركشي: ج ١ / ص ٢٩٣.

(٥) الانفطار: ١.

وهذه فاطمة، وأنا فاطر السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عمّا يعرهم ويشينهم، فشقت لها أسما من أسمى<sup>(١)</sup>، وسيأتي الحديث بتامه عند شرح خلقة آدم في التّنبية الثّاني من تنبيهات الفصل العاشر. هذا وفي قوله (عليه السلام) «بقدرته» إشارة إلى أن خلق الأشياء بنفس القدرة التي هي عين ذاته، لا بشيء آخر، وأما سائر الصنّاع والفواعل فليسوا كذلك، فان صنعهم، وفعلهم بشيء غير ذواتهم كآلة أو ملكة نفسانية، أو مادة أو معاون، مثلا إذا أنشأ إنسان كتابا فإنه يحتاج إلى آلة كاليد والقلم، وإلى ملكة الكتابة، وإلى مادة كالمداد والقرطاس وإلى معاون يتّخذ له الآلة الخارجة ويصلح مادة الكتابة، وأمّا صنعه سبحانه، فلا يحتاج إلى شيء من ذلك، وإنّما هو بنفس ذاته الواجب، ونفس قدرته الكاملة.

والقدرة في الأصل القوة وعند المتكلّمين هي الصّفة التي يتمكن معها الحيّ من الفعل وتركه بالإرادة، وأمّا عند الحكماء عبارة عن كون الفاعل بحيث إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، وقدرته تعالى قيل: هو (كون ذاته بذاته في الأزل بحيث يصحّ

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص ٢٢٠.

منه خلق الأشياء فيما لا يزال على وفق علمه به<sup>(١)</sup>، وهي عين ذاته، وقيل: (هي علمه بالنظام الأكمل من حيث إنه يصح صدور الفعل عنه)<sup>(٢)</sup>، وقيل: (هي عبارة عن نفي العجز عنه)<sup>(٣)</sup>، وقيل: (هي فيض الأشياء عنه بمشيئته التي لا تزيد على ذاته)<sup>(٤)</sup>، وهي العناية الأزليّة، وسيأتي تحقيق الكلام فيها وفي غيرها من الصّفات الثبوتية، عند شرح قوله (عليه السلام): (وَكَمَّالُ الْإِحْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ)، فانتظر<sup>(٥)</sup>.

#### ثانياً: معارف النصّ.

يرشد النص الشريف «فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ» إلى معنيين:

(١) الوافي، الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، تحقيق: ضياء الدين الحسيني (العلامة الأصفهاني)، مطبعة أفست نشاط أصفهان، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) العامة، أصفهان، ط ١، ١٤٠٦هـ: ج ١/ ص ٤٤٦.

(٢) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (عليه السلام)، السيد علي خان المدني الشيرازي (ت: ١١٢٠هـ)، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٤، ١٤١٥هـ: ص ٢٦٠.

(٣) رياض السالكين: ص ٢٦٠.

(٤) رياض السالكين: ص ٢٦٠.

(٥) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي: ج ١/ ص ٣٠٩-٣١٠.

الأول: مدخلية الأسباب في الخلق والتصرف.

إنَّ الله تعالى خلق الخلائق كلها ما علمه البشر منها وما لا يعلمون، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
بقدرته التي هي عين ذاته دون الحاجة الى الآلة أو المعونة من خلقه، أي كي لا ينصرف الذهن إلى أمرين، وهما:

١- إنَّ الإنسان قادر على الخلق، وقد بينَّ القرآن ذلك في معرض حديثه عن نبي الله عيسى (عليه السلام)، قال سبحانه:

﴿وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنَفَّخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمُوتَى بِإِذْنِي﴾<sup>(٢)</sup>.

لكن السؤال: هل الخالق هو عيسى (عليه السلام) أم الله تعالى؟

لا شك إن الله هو الخالق، وذلك إن عيسى (عليه السلام) استعان بالطين فخلق منه كهيئة الطير ولو كان أصل الخلق بيده لما احتاج الى الواسطة والمادة الأساس وهي الطين الذي

(١) النحل: ٨.

(٢) المائدة: ١١٠.

خلقه الله بقدرته، ومن ثم فالإنسان يخلق الهيئات كالصناعات والزراعات، لكنه لم يوجد موادها الأساس، ولم يكن له شأن فيما اكتسبته بأذن الله من خواص كالقوة والضعف والصلابة والحرارة والبرودة وغيرها، فكل ذلك من الله تعالى ويأذنه فلو شاء لسلب النار خاصية الإحراق وسلب من الطين الإنبات وهكذا.

٢- مدخلية الأسباب، فقد ينصرف ذهن الإنسان إلى مدخلية الملائكة والتوالد بين الكائنات الحية وذوات الأرواح ما خلا الملائكة، وذلك لكونها، أي الملائكة ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾<sup>(١)</sup>، ومن ثم يرشد النص الشريف إلى أن الله تعالى هو الخالق لهذا الخلق بقدرته، وأنه هو من خلق الأسباب فلا يتوهم بها الإنسان بأنها هي الخالقة والموجدة.

ولذا: يعرض القرآن الكريم جملة من التساؤلات التي تصحح للإنسان فكره في إرجاع الأمور كلها لله تعالى:

أ. ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفِّرُونَ \* أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) النزاعات: ٥.

(٢) الواقعة: ٥٨-٥٩.

ب. ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ \* أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ \* لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ج. ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ \* أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ \* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

د. ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ \* أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وغيرها من الآيات المباركة التي تثبت حقيقة أمر الخلق والخليقة الى قدرة الله تعالى.

الأمر الثاني: في معنى (الفطر) ودلالاته اللغوية والمفهومية والمصاديقية. فقد ثبت في المعنى اللغوي أنه: (الشق)، إلا أن مفهومه ومصاديقه لا تنحصر في شق العدم أو الظلمة فأوجد الله الخلق منه، كما أشار إليه بعض الشراح للنص الشريف، وإنما يسري مفهومه ومصاديقه فيما أوجده الله تعالى بقدرته من سنة في تكوين الخلية الواحدة (وانقسامها الى خليتين، ثم الخليتين إلى

(١) الواقعة: ٦٣-٦٥.

(٢) الواقعة: ٦٨-٧٠.

(٣) الواقعة: ٧١-٧٢.

أربع وهكذا، وهناك نوعين اثنين من الانقسام الخلوي، وهما الانقسام المتساوي، وهو الذي يحدث في الخلايا الجسدية في الكائنات الحية، والانقسام الاختزالي والذي يحدث في الخلايا التناسلية للكائنات الحية<sup>(١)</sup> وقد تناولت العديد من الدراسات الأكاديمية بيان هذه الحقيقة الكاشفة عن مفهوم (الفطر) ومصاديقه في قدرة الله تعالى بانقسام الخلية الواحدة الى خلايا متعددة وتكوين خلق جديد، فله الحمد على ذلك.

(١) ويكيبيديا: انقسام الخلية.

## المبحث الثامن

الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام):

«وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ»

اشتمل النصُّ الشريف على جملة من المعارف، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللغوي.

١. الراونديّ.

قال (رحمه الله): «(نَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ)، أي: وسعها طويلة، وأصله من نشرت الكتاب خلاف طويته<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

٢. قال الخوئيّ.

قال (رحمه الله): «و (النَّشْر) البسط<sup>(٣)</sup>، يقال: نشر المتاع ينشره نشرًا إذا بسط، ومنه ريح نشور ورياح نشر، (والرِّيح) جمع الرِّيح، والياء فيها منقلبة عن الواو لانكسار ما قبلها،

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ج ٥/ ص ٤٣٠، مادة (نشر).

(٢) منهاج البراعة، قطب الدين الراوندي: ج ١/ ص ٣٩.

(٣) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٦/ ص ٢٥٢، مادة (نشر).

وجمع القلة أرواح بالواو إذ لم يوجد فيه ما يوجب الاعلال، وربّما يفرق بين الرّيح والرّياح بأنّ الثّانية من أسباب الرّحمة وآثارها، والأولى ليست كذلك وقد روي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه كان يقول إذا هبّت ريح:

اللّهُمَّ اجعلها رياحا، ولا تجعلها ريحا<sup>(١)</sup>؛ ويشهد به الاستقراء أيضا قال سبحانه: ﴿يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَوَاقِحَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾<sup>(٤)</sup> و﴿رِيحٍ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>. إلى غير هذه من الآيات<sup>(٦)</sup>.

(١) المسند، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٠٠هـ: ص ٨١، منتهى المطلب، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ)، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، ايران-مشهد، ط ١، ١٤٢٠هـ: ج ٦/ ص ٨٢.

(٢) الروم: ٤٦.

(٣) الحجر: ٢٢.

(٤) الحاقة: ٦.

(٥) الأحقاف: ٢٤.

(٦) منهاج البراعة، حبيب الله الخوئي: ج ١/ ص ٣٠٨.

المسألة الثانية: شرح النص وبيان معارفه.

أولاً: ما أفاده الشرح.

١. الراوندي:

قال (رحمه الله): «في قوله (عليه السلام): (نَشْرَ الرِّيحِ بِرَحْمَتِهِ)... يعتبرون في صفة الريح النشر إذا كان فيها خير لا شر معه، كالرياح الملقحات التي ينشرها الله، فتكون سببها الأنوار والأزهار والفواكه والشمار، وكالتأثيرات رياح الرحمة يتشرون السحاب في الجو، فتكون منه الأمطار والرياح تجمع قطع السحاب من المواضع المختلفة حتى إذا اتصل السحاب أنزلت الأقطار. وفي الخبر:

(اللهم اجعلها رياحا لا تجعلها ريحا عذابا)<sup>(١)</sup>، وهذا إشارة إلى عرف العرب في ذلك، فإنهم يقولون ريح العذاب ورياح الرحمة، وبه نزل القرآن، قال الله تعالى: ﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾<sup>(٢)</sup>، الريح العقيم وتنشر الرياح [و] ترسل الرياح.

(١) الدعاء، الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ: ص

وهذا إيهاء إلى أن ثواب الله مزيد مضاعف على المستحق وعقاب الله مقصور على الاستحقاق، فلذلك جمع ما فيه النعمة وأفرد ما معه النقمة.

و (بِرَحْمَتِهِ) أيضاً حال، والرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة في القلب تقتضي الإحسان إلى المرحوم، يقال رحم يرحم إذا رق وتعطف.

ونحوها الغضب، فإنه في الواحد منا تغيير يقتضي عذاب الغير ومن الله الغضب على الكفار إرادة إنزال العقاب بهم، فيحمل على المسبب في الموضوعين دون السبب»<sup>(١)</sup>.

## ٢. الخوئي:

قال (رحمه الله): «(نَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ)، أي: بسطها وفرقتها على الأطراف والأكناف برحمته الواسعة، ونعمته السابغة، لما فيها من المصالح والمنافع التي لا تعد ولا تحصى، منها ما أشير إليه في الآية الشريفة، قال سبحانه في سورة الأعراف:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، حَتَّىٰ إِذَا

(١) منهاج البراعة، قطب الدين الراوندي: ج ١ / ص ٣٩.

أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ، فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿١﴾، أي يرسل الريح ويطلقها منتشرة في الأرض على قراءة نشرا بالنون، أو مبشرة بالغيث على قراءة عاصم بالباء، بين يدي رحمته، وهو المطر، حتى إذا حملت سحابا ثقالا بالماء، سقنا السحاب إلى بلد ميت، خال من الماء والكلاء، فَأَنْزَلْنَا بِهِ أَي بِالسَّحَابِ الْمَاءَ، فَأَخْرَجْنَا بِالْمَاءِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، وإلى هذا المضمون أيضا أشير في سورة الفرقان والنمل والرّوم.

والجملة فالرياح من أعظم النعماء، وأسبغ الآلاء، لما فيها من إنبات النبات والأزهار، وإلقاح الأشجار وإيناع الثمار ورفع كثافات الهواء، وتطيب الماء والكلاء، إلى غير ذلك من الثمرات التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى هذا وبقي الكلام في مهبة الريح وأقسامها.

فنقول: روى الصدوق في العلل بإسناده عن العزرمي، قال:

(كُنْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَام) جَالِسًا فِي الْحِجْرِ نَحْتِ الْمِيزَابِ وَرَجُلٌ يُخَاصِمُ رَجُلًا وَأَحَدُهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ وَاللَّهِ مَا تَدْرِي مِنْ أَيْنَ تَهْبُ الرِّيحُ فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَام):

«فَهَلْ تَدْرِي أَنْتَ؟»

قَالَ لَا وَلَكِنِّي أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ أَنَا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ  
(عليه السلام): جُعِلْتُ فِدَاكَ مِنْ أَيْنَ تَهْبُ الرِّيحُ؟

فَقَالَ:

«إِنَّ الرِّيحَ مَسْجُونَةٌ تَحْتَ هَذَا الرُّكْنِ الشَّامِيِّ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ  
(عَزَّ وَجَلَّ) أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا شَيْئاً أَخْرَجَهُ إِمَّا جُنُوباً فَجَنُوبٌ وَإِمَّا  
شِمَالاً فَشِمَالٌ وَصَبَاً فَصَبَاً وَدُبُوراً فَدُبُورٌ ثُمَّ قَالَ مِنْ آيَةِ ذَلِكَ  
أَنَّكَ لَا تَزَالُ تَرَى هَذَا الرُّكْنَ مُتَحَرِّكاً أَبَداً فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ  
وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»<sup>(١)</sup>.

قال المحدث العلامة المجلسي:

(ولعل المراد بحركة الركن حركة الثوب المعلق عليه)<sup>(٢)</sup>.

وفي الفقيه والكافي، الكليني عن أبي بصير، قال: (سَأَلْتُ  
أَبَا جَعْفَرٍ (عليه السلام) عَنِ الرِّيحِ الْأَرْبَعِ الشَّمَالِ وَالْجُنُوبِ  
وَالصَّبَاِ وَالدُّبُورِ وَقُلْتُ إِنَّ النَّاسَ يَذْكُرُونَ أَنَّ الشَّمَالَ مِنَ الْجَنَّةِ

(١) الكافي، الكليني: ج ٨ / ص ٢٧٢؛ علل الشرائع: ج ٢ / ص ٤٤٨.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ج ٥٧ / ص ٩.

وَالْجُنُوبَ مِنَ النَّارِ؟ فَقَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَجَلَ جُنُودًا مِنْ رِيحٍ يُعَذِّبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَصَاهُ وَلِكُلِّ رِيحٍ مِنْهَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا فِإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعَذِّبَ قَوْمًا بِنَوْعٍ مِنَ الْعَذَابِ أَوْحَى إِلَى الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الرِّيحِ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا قَالَ فَيَأْمُرُهَا الْمَلِكُ فَيَهِيجُ كَمَا يَهِيجُ الْأَسَدُ الْمُغْضَبُ قَالَ وَلِكُلِّ رِيحٍ مِنْهُنَّ اسْمٌ أَمَّا تَسْمَعُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي \* إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَمَا ذَكَرَ مِنَ الرِّيحِ الَّتِي يُعَذِّبُ اللَّهُ بِهَا مَنْ عَصَاهُ قَالَ وَاللَّهِ عَزَّ ذِكْرَهُ رِيحٌ رَحْمَةٌ لَوَاقِحٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ يَنْشُرُهَا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، مِنْهَا مَا يَمِجُّ السَّحَابَ لِلْمَطَرِ، وَمِنْهَا رِيحٌ تَحْبِسُ السَّحَابَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَرِيحٌ تَعْصِرُ السَّحَابَ فَتَمْطُرُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَمِنْهَا

(١) القمر: ١٨ - ١٩.

(٢) الذاريات: ٤١.

(٣) الأحقاف: ٢٤.

(٤) البقرة: ٢٦٦.

رِيَّاحٍ مِمَّا عَدَدَ اللهُ فِي الْكِتَابِ، فَأَمَّا الرِّيحُ الأَرْبَعُ الشَّمَالُ وَالْجُنُوبُ  
وَالصَّبَا وَالذَّبُورُ فَإِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ المَلَائِكَةِ المُوَكَّلِينَ بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ  
أَنْ يَهْبَّ شَمَالاً أَمَرَ المَلِكَ الَّذِي اسْمُهُ الشَّمَالُ فَيَهْبِطُ عَلَى البَيْتِ  
الحَرَامِ فَقَامَ عَلَى الرُّكْنِ الشَّامِيِّ فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ فَتَفَرَّقَتْ رِيحُ  
الشَّمَالِ حَيْثُ يُرِيدُ اللهُ مِنَ البَرِّ وَالبَحْرِ<sup>(١)</sup>.

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ جَنُوباً أَمَرَ المَلِكَ الَّذِي اسْمُهُ الْجُنُوبُ  
فَهَبَطَ عَلَى البَيْتِ الحَرَامِ فَقَامَ عَلَى الرُّكْنِ الشَّامِيِّ فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ  
فَتَفَرَّقَتْ رِيحُ الْجُنُوبِ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَيْثُ يُرِيدُ اللهُ، وَإِذَا أَرَادَ  
اللهُ أَنْ يَبْعَثَ رِيحَ الصَّبَا أَمَرَ المَلِكَ الَّذِي اسْمُهُ الصَّبَا فَهَبَطَ عَلَى  
البَيْتِ الحَرَامِ فَقَامَ عَلَى الرُّكْنِ الشَّامِيِّ فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ فَتَفَرَّقَتْ  
رِيحُ الصَّبَا حَيْثُ يُرِيدُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ  
أَنْ يَبْعَثَ دُبُوراً أَمَرَ المَلِكَ الَّذِي اسْمُهُ الذَّبُورُ فَهَبَطَ عَلَى البَيْتِ  
الحَرَامِ فَقَامَ عَلَى الرُّكْنِ الشَّامِيِّ فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ فَتَفَرَّقَتْ رِيحُ  
الذَّبُورِ حَيْثُ يُرِيدُ اللهُ مِنَ البَرِّ وَالبَحْرِ.

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر  
الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة:

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام):

«أَمَّا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ رِيحُ الشَّمَالِ وَرِيحُ الْجَنُوبِ وَرِيحُ الدَّبُورِ  
وَرِيحُ الصَّبَا إِنَّمَا تُضَافُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُؤَكَّلِينَ بِهَا»<sup>(١)</sup>.

أقول: يعني إضافة بمعنى اللام لا إضافة بيانية هذا.

وعن الشهيد في الذكرى: (أنَّ الجنوب محلَّها ما بين مطلع  
سهيل إلى مطلع الشَّمس في الاعتدالين، والصَّبا محلَّها ما بين  
الشَّمس إلى الجدى، والشَّمال محلَّها من الجدى إلى مغرب  
الشَّمس في الاعتدالين، والدَّبور من مغرب الشَّمس إلى مطلع  
سهيل انتهى)<sup>(٢)</sup>.

لا يقال: إن المستفاد من الرواية السابقة، كون مهبَّ جميع  
الرياح جهة القبلة، وهو مناف لما ذكره الشهيد.

لأننا نقول: إنَّ ظاهره وإن كان ذلك إلاَّ أنه يمكن تأويلها بأنَّ  
الملك لعظمه وعظم جناحه يمكن أن يحرك رأس جناحه بأي  
موضع أراد ويرسلها إلى أي جهة أمر بالإرسال إليها، وإنَّما امر  
بالقيام على الكعبة لشرافتها، وقيل: (ضرب الجناح علامة أمر

(١) الكافي، الكليني: ج ٨ / ص ٩١-٩٢.

(٢) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول: ج ٣ / ص ١٦٢.

الملك الرِّيح للهوب) (١)، وإِنَّمَا احتجنا إلى التأويل، لأنَّ كون جميع الرِّياح من طرف القبلة خلاف ما يشهد به الوجدان (٢).

٣. قال التستري:

قال (رحمه الله): (في قوله عليه السلام): «وَنَشَرَ الرِّياحَ بِرَحْمَتِهِ» يمكن أن يكون المراد بالرحمة الأمطار، كالرحمة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ...﴾ (٣)، ويمكن أن يكون المراد بها ترحمه تعالى على عباده بنشر الرِّياح، فبالرِّياح يجيء السَّحاب كما عرفت من الآية وبالرِّياح تُلَقَّح الأشجار، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَوَاقِحَ...﴾ (٤)، وبالرِّياح تسير السَّفن، قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلى ظَهْرِهِ...﴾ (٥)، ولولا الرِّياح لزويت النباتات ومات الإنسان والحيوانات وفسدت الجمادات.

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج ٥٧ / ص ١٤.

(٢) منهاج البراعة، حبيب الله الخوثي: ج ١ / ص ٣١٠-٣١٣.

(٣) الأعراف: ٥٧.

(٤) الحجر: ٢٢.

(٥) الشورى: ٣٣.

والرياح لا تستعمل غالباً إلا في الخير، كما في الآيات: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ...﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا...﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿... وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا...﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ...﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا...﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿... وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ...﴾<sup>(٧)</sup>.

ومّا جاء للمطلق: ﴿... فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ...﴾<sup>(٨)</sup>، لكن في قراءة: (الريح).

كما أن الريح الأغلب استعمالها في الشر، كما في آيات: ﴿... إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾<sup>(٩)</sup>، ﴿... فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا

(١) الأعراف: ٥٧.

(٢) الحجر: ٢٢.

(٣) الفرقان: ٤٨.

(٤) النمل: ٦٣.

(٥) الروم: ٤٦.

(٦) فاطر: ٩.

(٧) البقرة: ١٦٤.

(٨) الكهف: ٤٥.

(٩) الذاريات: ٤١.

﴿مَنْ الرِّيحِ...﴾<sup>(١)</sup>، ﴿.. أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾<sup>(٢)</sup>،  
﴿... كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ...﴾<sup>(٣)</sup>.

ومّا جاءت للخير: ﴿وَلِسْلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً...﴾<sup>(٤)</sup>،  
﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾<sup>(٥)</sup>،  
﴿وَلِسْلِيمَانَ الرِّيحَ عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ...﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿إِنْ يَشَأْ  
يُسْكِنِ الرِّيحَ...﴾<sup>(٧)</sup>.

وكذلك ريح بدون اللام يأتي لهما، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا  
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾<sup>(٨)</sup>.

ومما ذكرنا يظهر لك ما في قول الثعالبي في (فقه لغته):  
لم يأت لفظ الرِّيح في القرآن إلا في الشرِّ، والرِّيح إلا في الخير،

(١) الإسراء: ٦٩.

(٢) الحج: ٣١.

(٣) إبراهيم: ١٨.

(٤) الأنبياء: ٨١.

(٥) ص: ٣٦.

(٦) سبأ: ١٢.

(٧) الشورى: ٣٣.

(٨) الأحقاف: ٢٤.

ثم ذكر آيات<sup>(١)</sup>.

ثانياً: معارف النص.

يلتصق النص الشريف: «نَشَرَ الرَّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ» - فضلاً عما أفاده الشراح - بما أكتنزه القرآن الكريم للعلوم ومنها علم الطبيعة وعناصرها، التي اتخذت اليوم حيزاً واسعاً من البحث والدراسة في الجامعات والمعاهد العلمية فأصبح لكل منها علماً مستقلاً بكل عنصر من عناصرها ومنها الرياح، فقد عرّفت بأنها:

(حركة جزيئات الهواء والغازات المكونة للغلاف الجوي، والرياح توصف ككمية موجهة لها سرعة واتجاه)<sup>(٢)</sup>.

وما اختصاص اللفظة بالرحمة إلا من وحي القرآن وليس من وحي علماء اللغة العربية وهذا كاشفاً عن اختصاصه عليه السلام بمعارف القرآن وعلومه ومعارف اللغة وعلومها.

ولو تدبرنا القرآن واستقرأنا آياته المشتملة على مفردة الرياح

(١) بهج الصباغة، محمد تقي التستري: ١ / ١٥٠-١٥٣.

(٢) موقع المركز العربي للمناخ، بحثاً مفصلاً عن الرياح، المهندس أحمد العرييد، تاريخ النشر: ٣/٧/٢٠٢١م.

لوجدناها أحد عشر آية كلها تظهر ملازمة المفردة واتساقها للرحمة، ما عدا آية واحدة في سورة الكهف، وهي قوله تعالى:

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وأما ما ذكره الثعالبي في فقه اللغة من اختصاص الريح بالعذاب فهو مأخوذ من الآيات المباركة والتي ورد ذكرها في أربعة عشر موضعاً ما عدا آيتين فقد أشارت إلى اختصاص الريح بالرحمة، وهي:

﴿وَجَرَيْنَ بِهِمُ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الآية: ٤٥

(٢) يونس: ٢٢.

(٣) يوسف: ٩٤.

ومن ثمّ فقد عمد الشراح وعلماء اللغة إلى ما غلب استعماله في القرآن الكريم للمفردتين، أما ما أرتبط بالرياح والريح من شؤون علمية وأثار تناولتها الدراسة الحديثة فهو مما يخرج عن استيعاب البحث وتخصّصه.



## المبحث التاسع

الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام):

«وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ»

اشتمل النص الشريف على جملة من المعارف، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: المعنى اللغوي.

١. الراوندي:

قال (رحمه الله): «عَبَّرَ (بالتوتيد) عن إزالة اضطراب الأرض الكائن أول مرّة أو عن كونه أماناً عن زلزالها الذي يكون في آخر الأمر.

يقال: وتّدت بالوتد أتده، وللتكثير وتّد يوتّد، والله تعالى أرسى الأرض وتد بها بالجبال كما يرسي البيت بالأوتاد والجبال<sup>(١)</sup>.

(والصخر) الحجر الشديد الصلب<sup>(٢)</sup>، والمراد بالصخور

---

(١) ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري: ج ٢ / ص ٣١٨.

(٢) ينظر الصحاح، الجوهري: ج ٢ / ص ٧٠٩ مادة (صخر).

الجبال، ويقال: مادت الأغصان ميدانا: أي تحركت وتمايلت<sup>(١)</sup>،  
والفعلان أنما يقال في شيء فيه اضطراب شديد، وتحرك عظيم،  
وتزلزل قوي، والأرض لم يجيء في القرآن جمعها<sup>(٢)</sup>.

## ٢. البحراني:

قال (رحمه الله): «و(وتد): بالفتح أي ضرب الوتد في حائط  
أو في غيره<sup>(٣)</sup>، و(الصخور) الحجارة العظام<sup>(٤)</sup>، و(الميدان):  
الحركة بتمايل وهو الاسم من ماد يمد ميذا ومنه غصن ميّاد  
متمايل<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.

المسألة الثانية: شرح النص وبيان معارفه.

## أولاً: ما أفاده الشراح.

### ١. الخوئي:

قال (رحمه الله): «(وَوَتَدٌ بِالصُّخُورِ مَيْدَانٌ أَرْضِهِ) يعني ثبّت

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية: ج ٢ / ص ٥٤١، مادة (ميد).

(٢) منهاج البراعة: ج ١ / ص ٤٠.

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج ٣ / ص ٤٤٤، مادة (وتد).

(٤) ينظر: العين، الفراهيدي: ج ٤ / ص ١٨٤، مادة (صخر).

(٥) ينظر: جهرة اللغة، ابن دريد: ج ٢ / ص ٦٨٥، مادة (ميد).

(٦) شرح نهج البلاغة: ج ١ / ص ١٠٧.

بالجبال حركة أرضه واضطرابها، فهي كالوتد لها مانعة عن اضطرابها، قال سبحانه في سورة النحل: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي كراهة أن تميد، ومثلها في سورة لقمان، وفي الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، والرواسي جمع الراسية أي الجبال العالية الثابتة، وفي سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا \* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾<sup>(٣)</sup>.

١٥

روي عن ابن عباس: (أن الأرض بسطت على الماء فكانت تكفاً بأهلها كما تكفاً السفينة، فأرساها الله بالجبال)<sup>(٤)</sup>.

وعن الخصال عن الصادق عن أبيه عن جدّه، (عليهم السلام)، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:

(إنّ الله تبارك وتعالى لما خلق البحار فخرت وزخرت وقالت: أي شيء يغلبني فخلق الله الفلك، فأدارها به وذلها، ثم إنّ الأرض فخرت وقالت: أي شيء يغلبني فخلق الله الجبال

(١) النحل: ١٥.

(٢) الأنبياء: ٣١.

(٣) النبأ: ٦ - ٧.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ج ٥٧ / ص ١٠١.

فأثبتها في ظهرها أوتاداً من أن تميد بما عليها، فذلت الأرض واستقرت<sup>(١)</sup>.

ويأتي فيه طائفة من الأخبار في شرح الفصل الثامن من فصول الخطبة هذا، والاشكال بعد في كيفية كون الجبال سبباً لسكون الأرض، وقد ذكروا فيها وجوهاً: منها ما ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير، وهو أن السفينة إذا ألقيت على وجه الماء، فإنها تميد من جانب إلى جانب وتضطرب، فإذا وضعت الأجرام الثقيلة فيها، استقرت على وجه الماء، وكذلك لما خلق الله الأرض على وجه الماء اضطربت، ومادت، فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها بها، فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال.

ثم قال: لقائل أن يقول: هذا يُشكل من وجوه: الأول أن هذا المعلل إما أن يقول بأن حركات الأجسام بطباعها، أو يقول ليست بطباعها بل هي واقعة بإيجاد الفاعل المختار.

فعلى التقدير الأول نقول لا شك إن الأرض أثقل من الماء، والأثقل يغوص في الماء ولا يبقى طافياً عليه، فامتنع أن يقال:

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص ٤٤٢.

المبحث التاسع: قوله عليه السلام: ((وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ))

إنَّها كانت تُميد وتضطرب، بخلاف السِّفينة، فإنَّها متَّخذة من الخشب، وفي داخل الخشب تجويفات غير مملوءة، فلذلك تُميد وتضطرب على وجه الماء، فإذا أرسيت بالأجسام الثقيلة استقرت وسكنت، فظهر الفرق.

وأما على التَّقدير الثَّاني وهو أن يقال: ليس للأرض والماء طبائع يوجب الثَّقَل والرَّسوب، والأرض إنَّما تنزل لأنَّ الله تعالى أجرى عادته بجعلها كذلك، وإنَّما صار الماء محيطًا بالأرض، لمجرّد إجراء العادة، وليس هاهنا طبيعة للأرض ولا للماء توجب حالة مخصوصة، فنقول: على هذا التَّقدير علَّة سكون الأرض هي أنَّ الله يخلق فيها السِّكون، وعلَّة كونها مائدة مضطربة، هو أنَّ الله يخلق فيها الحركة فيفسد القول بأنَّ الله خلق الجبال لتبقى الأرض ساكنة، فثبت أنَّ التَّعليل مشكل على كلا التَّقديرين انتهى <sup>(١)</sup>.

ثم ذكر سائر الإشكالات الواردة على المعلَّل، تركنا التعرُّض لها مخافة الاطناب.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٠/ ص ١٨٩-١٩٠؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٥٧ / ص ١٠٢.

أقول<sup>(١)</sup>: ويمكن الجواب عن الإشكال بأن يقال: إننا نختار أنّ الأرض بطبيعتها طالبة للمركز، لكن إذا كانت خفيفة كان الماء يجرّها بأواجه حركة قسريّة، ويزيلها عن مكانها الطبيعي بسهولة، فكانت تميد وتضطرب بأهلها وتغوص قطعة منها، وتخرج قطعة منها، ولما أرساها الله بالجبال، وأثقلها قاومت الماء وأمواجه بثقلها، فكانت كالأوتاد ومثبتة لها، ومنها ما ذكره أيضاً واختاره حيث قال: والذي عندي في هذا الموضع المشكل أن يقال: إنّه ثبت بالدلائل اليقينيّة أنّ الأرض كرة وأنّ هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى خشونات وتضاريسات تحصل على وجه هذه الكرة، إذا ثبت هذا فنقول، لو فرضنا أنّ هذه الخشونات كانت معدومة بل كانت الأرض كرة حقيقة خالية عن هذه الخشونات والتضاريسات، لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب لأنّ الجرم البسيط المستدير وإن لم يجب كونه متحرّكاً بالاستدارة عقلاً، إلّا أنّه بأدنى سبب يتحرك على هذا الوجه، أمّا إذا حصل على سطح كرة الأرض هذه الجبال، وكانت كالخشونات الواقعة على وجه

الكرة، فكل واحد من هذه الجبال إنّما يتوجه بطبعه إلى مركز العالم، وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم، بثقله العظيم وقوته الشديدة، يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الأرض كأوتاد المغرورة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة، وكانت مانعة للأرض عن الميد والميل والاضطراب بمعنى أنّها منعت الأرض عن الحركة المستديرة، فهذا ما وصل إليه خاطري في هذا الباب والله أعلم انتهى <sup>(١)</sup>.

١٠٩

واعترض عليه بأنّ كلامه لا يخلو عن تشويش واضطراب، وما يظهر من أوائل كلامه، هو أنّه جعل المناط في استقرار الأرض الخشونات والتضاريسات من حيث إنّها خشونات وتضاريسات، وذلك إمّا للممانعة الأجزاء المائية الملاصقة لتلك التضاريسات، لاستلزام حركة الأرض زوالها عن مواضعها وحيث يكون علّة السكون هي الجبال الموجودة في الماء، لا ما خلقت في الرّبع المكشوف من الأرض وهو خلاف الظاهر من

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٠ / ص ١٩٠، بحار الأنوار، المجلسي: ٥٧ / ص

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾<sup>(١)</sup>.

والقول: بأنّ ما في الماء أيضاً من فوقها، فلعلّ المراد تلك الجبال لا يخلو عن بعد مع أنّها ربّما كانت معاونة لحركة الأرض، كما إذا تحركت كثرة الماء بتموّجها أو تمّوج أبعاضها المقارنة لتلك الخشونات، وإنّما تمنعها عن الحركة أحيانا عند حركة بعضها، وأمّا الممانعة الأجزاء الهوائية المقاربة للجبال الكائنة على الرّبع الظاهر، فكانت الأوتاد مثبتة لها في الهواء، مانعة عن تحريك الماء بتموّجه إيّاها كما يمانع الجبال المخلوقة في الماء عن تحريك الرّيح إيّاها، وحينئذ يكون وجود الجبال في كلّ منهما معاونا لحركة الأرض في بعض الصّور، معاوقا عنها في بعضها، ولا مدخل حينئذ لثقل الجبال وتركبها في سكون الأرض واستقرارها.

ومنها ما اختاره العلامة المجلسي في البحار:

(وهو أن يكون مدخليّة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها واتّصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتّت أجزائها وتفرّقها، فهي بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركبة عن قطع الخشب الكثيرة، بحيث تصير

المبحث التاسع: قوله ﷺ: ((وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ))

سبباً لالتصاق بعضها ببعض وعدم تفرّقها، وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الآبار في الأرض، فإنّها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصّلبة، وأنت ترى أكثر قطع الأرض واقعة بين جبال محيطية بها، فكأنّها مع ما يتّصل بها من القطعة الحجرية المتّصلة بها من تحت تلك القطعات، كالظرف لها، تمنعها عن التفتّت والتفرّق والاضطراب عند عروض الأسباب الداعية إلى ذلك<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكروها، والله العالم بحقائق الأمور<sup>(٢)</sup>.

٢. التستريّ:

قال (رحمه الله): «(وَوَدَّ بِالصُّخُورِ) أي: الجبال. (مِيدَانَ) أي: اضطراب. (أَرْضِهِ)، أي: جعل الجبال أوتادا للأرض؛ لئلاّ تضطرب، كأوتاد الخيم؛ لئلاّ تضطرب، وإلى ذلك أشير في الكتاب في مواضع، منها: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٥٧ / ص ١٠٦.

(٢) منهاج البراعة: ١ / ص ٣١٣-٣١٦.

(٣) النحل: ١٥.

(٤) النبأ: ٧.

وفي الصخور، أي: الجبال فوائد أخرى غير منع الأرض من الميدان، من كونها معادن للفلزات والأحجار الكريمة، وخزائن مياه، ومنابت أشجار ونباتات وأزاهير وعقاقير، ومعامل للناس عن أعدائهم، ومساكن الوحوش والطيور<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: معارف النص.

إنَّ دراسة النص الشريف، قوله (عليه الصلاة والسلام): «وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ» تكشف عن جملة من الأمور، منها:

١- إنَّ من البداهة بمكان أن يكون النص يرشد الى حقائق علمية في مجالها الدقيق ألا وهو علم طبقات الأرض أو ما يعرف ب: (الجيولوجيا) وتفرعاته العديدة ومنها دراسة الجبال وعملية تكوينها وفوائدها وأثارها في الحياة.

٢- إنَّ ما ذهب إليه الشراح هو خلاصة ما توافر لديهم من معلومات علمية تتناسب مع العصر الذي عاشوه فحصوله العلوم والأبحاث في زمن الراوندي أو المعتزلي أو ابن ميثم لا يمكن قياسها مع هذا الزمن وما يشهده من تسارع في البحث

(١) بهج الصباغة، محمد تقي التستري: ١ / ص ١٥٣.

المبحث التاسع: قوله عليه السلام: ((وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ))

والدراسات ووسائل الوصول إلى المعلومة، ومن ثم لا يمكن البناء على ما قدموه من معلومات حول (فطر الخلائق) و(نشر الرياح) و(توديد الأرض بالصخور) وهي أمور علمية خاصة ولكل منها مجالها التخصصي.

٣- أما المباحث الكلامية التي تعرض لها الراوندي (رحمه الله) في تقديم خلق الجماد على الحيوان وما عارضه المعتزلي فهي لا طائل منها في قبال إيصال الخصائص العلمية التي وردت في المقاطع الثلاثة للنص الشريف والتي تلبى حاجة الإنسان في التفكير في خلق الله تعالى وتعميق الإيمان في الصدور.

وإلا فإن البحث في أول الخلق لم يكن من دلالة الألفاظ في قوله (عليه السلام):

«فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ» ولا علاقة له في مقاصدية أول الخلق، فضلا عما يعارض كلام الراوندي (رحمه الله) والمعتزلي والفخر الرازي من النصوص الشريفة وبيانها لأول ما خلق الله تعالى.

٤- إنَّ مما لا ريب فيه أن النص الشريف مستوحى من روح القرآن في معرض بيانه للجبال وأثارها، والتي استشهد بها

الشراح؛ إلا أن الأمر المهم هو الفارق بين البيان القرآني وقول أمير المؤمنين (عليه السلام)، أي: العام والخاص.

فقد أشار القرآن الكريم الى العموم في لفظ الجبال، وأشار أمير المؤمنين إلى الخصوص من الجبال وهي الصخور، فضلاً عن أستخدامه (عليه الصلاة والسلام) للفظ (ميدان) ليدل على اختصاص التوديد لقشرة الأرض، وقد كشفت الدراسات العلمية الحديثة عن دقة هذا البيان، وذلك (أن القشرة الأرضية هي جزء من الأرض، تغلف كتلتها الصلبة وتمتد لعمق عدة أميال من سطحها، وترتفع في بعض المناطق بانيةً جبالياً شاهقة، أو تنخفض في مناطق أخرى لتكون الأغوار وأعماق البحار)<sup>(١)</sup>، وأن هذه القشرة هي التي تجري فيها الحركة وذلك بفعل مكوناتها من (الصخور النارية والتي ينتج عن تعرضها لعوامل مختلفة تكون الصخور الرسوبية والمتحولة، ومن ذلك يمكن أن نعرف الصخر بأنه: كل مادة صلبة تكون جزءاً من القشرة الأرضية وتتكون من معدن أو عدة معادن أو من مادة

(١) ويكيبيديا: قشرة (جيولوجيا).

المبحث التاسع: قوله ﷺ: ((وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ))

عضوية)<sup>(١)</sup> فكانت هذه القشرة بحاجة إلى الضبط فأثبتها الله بالصخور وأوتدها بها. والحمد لله على فضله وفضل رسوله (صلى الله عليه وآله)



## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ: ج ٣/ ص ٢٠٠.
٢. أساس البلاغة، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، طبع: دار ومطابع الشعب لسنة (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، القاهرة - مصر.
٣. الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، طبع: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، قم المقدسة - إيران.
٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي الوفاة: (١١١١ هـ) الطبعة: الثانية لسنة (١٤٠٣ - ١٩٨٣ م) الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
٥. البرهان، الزركشي، الوفاة: ٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، السنة (١٣٧٦ - ١٩٥٧م)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه.
٦. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، العلامة المحقق الحاج الشيخ

محمد تقي التستري، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي، الوفاة (١٢٠٥هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

٨. التذكرة الحمدونية، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الوفاة: (٥٦٢هـ)، طبع: دار صادر لسنة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.

٩. تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)، الوفاة: ٢٦٠، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة: الأولى محققة، سنة الطبع: ربيع الأول ١٤٠٩، المطبعة: مهر - قم المقدسة.

١٠. تفسير السلميّ وهو حقائق التفسير، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلميّ (المتوفى: ٤١٢ هـ)، تحقيق: سيد عمران، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، مكان النشر: لبنان، بيروت.

١١. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الوفاة (٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، عمر سلامي، عبد الكريم حامد طبع: دار إحياء التراث العربي لسنة (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) الطبعة الأولى بيروت - لبنان.
١٢. التوحيد، الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الوفاة (٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
١٣. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الوفاة: (٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
١٤. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي (ت: ١٠٥٠هـ)، مطبعة مهر استوار، مكتبة المصطفى، قم - إيران: ج ٧ / ص ٣١٧.
١٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني الشافعي، الوفاة: (٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العالمية لسنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان.

١٦. الخصال، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الوفاة (٣٨١هـ) تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري طبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين لسنة (١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م) قم المقدسة - إيران.
١٧. خصائص الأئمة (عليهم السلام)، الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي، الوفاة: (٤٠٦هـ)، تحقيق: د. محمد هادي الأمين، مجمع البحوث العلمية الاستانة الرضوية المقدسة، مشهد - إيران ١٤٠٦هـ.
١٨. الدعاء، الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ: ص ٣٠٣.
١٩. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول، الوفاة (٧٨٦هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، الطبعة الأولى، محرم ١٤١٩، المطبعة: ستاره - قم، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - قم.
٢٠. الرواشح السماوية، ميرداماد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي، الوفاة: (١٠٤١هـ)، تحقيق: نعمة الله الجليلي، الطبعة الأولى، لسنة: (١٤٢٢ - ١٣٨٠ش)، الناشر: دار الحديث.
٢١. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (عليه السلام)،

السيد علي خان المدني الشيرازي (ت: ١٢٠هـ)، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٤، ١٤١٥هـ: ص ٢٦٠.

٢٢. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، الوفاة: (٧٦٩هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.

٢٣. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني الوفاة (١٠٨١هـ)، مع تعاليق الميرزا أبي الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، طبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٢٤. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم الوفاة ٦٧٩هـ)، طبعة الأولى، منشورات دار الثقلين، بيروت - لبنان، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٢٥. الصحاح، الجوهري، الوفاة: (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطا الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: (١٤٠٧ - ١٩٨٧ م)، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.

٢٦. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي (توفي ٨٥٥هـ)، طبع: دار إحياء التراث العربي لسنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.
٢٧. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، طبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.
٢٨. فهرست أسماء مصنفّي الشيعة (رجال النجاشي)، النجاشي، الوفاة: (٤٥٠هـ)، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: (١٤١٦هـ) الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٩. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (توفي ١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٣٠. الكافي، الشيخ الكليني، الوفاة: (٣٢٩)، تحقيق: صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: تابستان ١٣٦٣ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - تهران - إيران.

٣١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (تفسير الكشاف)، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الوفاة (٥٣٨هـ) طبع: دار الكتب العلمية لسنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م): الطبعة الرابعة بيروت - لبنان.

٣٢. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري المصري (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، نشر وطبع: دار الكتب العلمية لسنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان.

٣٣. مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي، الوفاة: (٧١١هـ)، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، طبع: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر لسنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م)، الطبعة الأولى، دمشق - سوريا.

٣٤. مشرق الشمسين، تأليف: الشيخ محمد بن الحسين العاملي.

٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف. الطبعة الثانية.

٣٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)، الوفاة ( ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤، المطبعة والناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي.

٣٧. مفاتيح الغيب (المسمى التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب فخر الدين بن حياء الدين الرازي المشتهر بخطيب الري، طبع: دار الفكر لسنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، بيروت - لبنان.

٣٨. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ص ٥٤٥-٥٤٦.

٣٩. المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي الموفق الخوارزمي (ت: ٥٦٨هـ) تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، الطبعة: الثانية، لسنة: ١٤١٤هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي - قم المشرفة.

٤٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الراوندي (قطب الدين

أبو الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي الوفاة (٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري والسيد محمود المرعشي، مشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٤٠٦هـ.

٤١. الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، الوفاة: (٤٧٤ هـ)، الناشر: مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٢ هـ.

٤٢. موقع المركز العربي للمناخ، بحثاً مفصلاً عن الرياح، المهندس أحمد العرييد، تاريخ النشر: ٣/٧/٢٠٢١ م.

٤٣. نهج البلاغة، بتحقيق. د. صبحي إبراهيم الصالح، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في لبنان، مفكر إسلامي، عضو المجامع العلميّة في القاهرة ودمشق وبغداد وأكاديمية المملكة المغربية، الطبعة الأولى، (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م)، بيروت.

٤٤. نهج البلاغة، تحقيق الأستاذ الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي، والكتاب تحقيق جديد على نسخة خطية فريدة وهي (نسخة بغداد)، نسخها ابن نازويه القمي وقابلها المحقق على خمس نسخ خطية وأربعة شروح وبهامش التحقيق شرح السيد فضل الله الراوندي والذي يعد من أوائل شروح نهج البلاغة.

٤٥. الوافي، الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، تحقيق: ضياء الدين الحسيني (العلامة الأصفهاني)، مطبعة أفست: ج ١ / ص ٤٤٦. نشاط أصفهان، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) العامة، أصفهان، ط ١، ١٤٠٦هـ.

## المحتويات

المقدمة:	٧
استهلال:	١١
المبحث الأول: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ»	١٣
المسألة الأولى: المعنى اللغوي.	١٣
١- البحرانيّ.	١٣
٢- الخوئيّ.	١٣
المسألة الثانية: شرح النصّ وبيان معارفه.	١٤
أولاً: ما أفاده الشراح.	١٤
١- البحرانيّ.	١٤
٢- الخوئيّ.	١٨
ثانياً: معارف النصّ.	٢١
الأمر الأول: علة ابتدائه (عليه السلام) الخطاب بـ (الحمد لله)..	٢١

- الأمر الثاني: دلالة ابتدائه (عليه السلام) بالحمد تختلف عن غايته.. ٢٢
- الأمر الثالث: غايته (عليه السلام) في الحمد بيان امتناع القائلين في الوصول إلى حقيقته..... ٢٣
- الأمر الرابع: إقران أهل اللغة لمعنى الحمد والمدح يؤدي إلى الإجحاف في دلالة النص الشريف..... ٢٤
- المبحث الثاني: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ» ..... ٢٥
- المسألة الأولى: المعنى اللغوي..... ٢٥
- البحرانيّ: ..... ٢٥
- المسألة الثانية: شرح النصّ وبيان معارفه..... ٢٥
- أولاً: ما أفاده الشراح..... ٢٥
- ١- الخوئيّ: ..... ٢٦
- ٢- التستريّ: ..... ٢٦
- ثانياً: معارف النصّ..... ٢٨
- المبحث الثالث: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ» ..... ٣٧
- المسألة الأولى: المعنى اللغوي..... ٣٧

- ١- الراونديّ: ٣٧.....
- ٢- البحرانيّ: ٣٧.....
- ٣- الخوئيّ: ٣٨.....
- المسألة الثانية: شرح النّص وبيان معارفه. ٣٨.....
- أولاً: ما أفاده الشراح. ٣٨.....
- ١- البيهقيّ: ٣٨.....
- ٢- الراونديّ: ٤٠.....
- ثانياً: معارف النّص..... ٤٢
- المبحث الرابع: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْضُ الْفِطَنِ»..... ٤٣
- المسألة الأولى: المعنى اللغوي. ٤٣.....
- ١- الراونديّ: ٤٣.....
- ٢- البحرانيّ: ٤٤.....
- ٣- الشيرازيّ: ٤٤.....
- المسألة الثانية: شرح النّص وبيان معارفه. ٤٥.....
- أولاً: ما أفاده الشراح. ٤٥.....

- ١- البحراني: ٤٥.....
- ٢- الخوئي: ٤٧.....
- ٣- التستري: ٥١.....
- ثانياً- معارف النص..... ٥٣
- المبحث الخامس: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام) «الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ»..... ٥٧
- المسألة الأولى: المعنى اللغوي..... ٥٧
- ١- الراوندي: ٥٧.....
- ٢- البحراني: ٥٩.....
- المسألة الثانية: شرح النص وبيان معارفه..... 59
- أولاً: ما أفاده الشراح..... ٥٩
- ١- الخوئي: ٥٩.....
- ٢- التستري: ٦٢.....
- ثانياً: معارف النص..... ٦٣
- المبحث السادس: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ»..... ٦٥

- المسألة الأولى: المعنى اللغوي..... ٦٥
- ١- الراونديّ: ..... ٦٥
- ٢- البحرانيّ: ..... ٦٦
- ٣- الخوئيّ: ..... ٦٦
- المسألة الثانية: شرح النّص وبيان معارفه. .... ٦٦
- أولاً: ما أفاده الشّراح. .... ٦٦
- ١- البحرانيّ: ..... ٦٧
- ٢- الخوئيّ: ..... ٦٨
- ثانياً: معارف النّص..... ٧١
- المبحث السابع: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ»..... ٧٣
- المسألة الأولى: المعنى اللغوي..... ٧٣
- ١- الراونديّ: ..... ٧٣
- ٢- البحرانيّ: ..... ٧٣
- المسألة الثانية: شرح النّص وبيان معارفه. .... ٧٤
- أولاً: ما أفاده الشّراح. .... ٧٤

- ١- الراونديّ: ..... ٧٤
- ٢- البحرانيّ: ..... ٧٨
- ٣- الخوئيّ: ..... ٨٠
- ثانيًا: معارف النصّ ..... ٨٢
- الأول: مدخلية الأسباب في الخلق والتصرف ..... ٨٣
- الأمر الثاني: في معنى (الفطر) ودلالاته اللغوية والمفهومية  
والمصداقية. .... ٨٥
- المبحث الثامن: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَنَشَرَ  
الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ» ..... ٨٧
- المسألة الأولى: المعنى اللغوي. .... ٨٧
- ١- الراونديّ. .... ٨٧
- ٢- قال الخوئيّ. .... ٨٧
- المسألة الثانية: شرح النصّ وبيان معارفه. .... ٨٩
- أولاً: ما أفاده الشراح. .... ٨٩
- ١- الراونديّ: ..... ٨٩
- ٢- الخوئيّ: ..... ٩٠

٩٦.....	٣- قال التستريّ:
٩٩.....	ثانياً: معارف النصّ.
١٠٣.....	المبحث التاسع: الحقول المعرفية في قوله (عليه السلام): «وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ».
١٠٣.....	المسألة الأولى: المعنى اللغوي.
١٠٣.....	١- الراونديّ:
١٠٤.....	٢- البحرانيّ:
١٠٤.....	المسألة الثانية: شرح النصّ وبيان معارفه.
١٠٤.....	أولاً: ما أفاده الشراح.
١٠٤.....	١- الخوئيّ:
١١١.....	٢- التستريّ:
١١٢.....	ثانياً: معارف النصّ.
١١٧.....	المصادر والمراجع

تم بحمد الله